حاجتنا الى تطور تربوي

بقلم نسيم نصر

*

حاجتنا الى تطور تربوي عنوان يستطيع الباحث فيه ان يؤلف عليه كتبا او ان يجزىء هذه الحاجة الكبرى الى حاجات كثيرة تتفاوت كما وتتفاوق نوعا . وها نحن في هذه الكلمة ، نتناول من هذه الحاجة الجامعة جانبا هاما نسميه: « اثر البيئة في نظام التعليم » .

لكي نتكلم على هذا الاثر علينا ان نستضيء ببزوغ الاسلوب العلمي ، الذي اعتبر وجوده عنصرا عميق الاثر في تطور الفكر . ذلك لان النهج العلمي يعتمد على الفكر المدعوم بالاختبار الحسي لاثبات الحقائق اكثر من اعتماده على المعارف والاراء المتناقلة الموروثة ، التي لم يسبق ان اقرها اختبار او ايدها برهان. وبالتحول عن اعتبار التفكير محاولة نظرية في التنظيم الى اعتباره فعل اكتشاف وخلق حدث ما حدث من تبديل في طاقات الانسان واستعداداته سعيا وراء تامين عيش انعم وحياة افضل ، ومن هنا اصبحت التربية عملية فلسفة . فاين نحن في واقعنا التنشيئي من هذا الاعتبار الفلسفي الحديث؟

لعل تيسير الالمامة بما نحن في صدد الكلام عليه يقتضي في هذا المجال ان نعرف الفلسفة في مفهوم علماء التربية . انها نقد علمي للقيم والمثل السائدة وتقديمها الى محك الاختبار والعلم . وبما ان العوامل الطبيعية لا بد لها من ان تسهم في التاثير على الناشئة مشاركة العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، في طريق التثقيف والتعليم ، فاذن لا بد لنا ايضا من ان تقدر قيمة اية فلسفة تربوية تدخلها علينا بالقدر الذي تتركه من الاثر الفاعل في سبيل الاحسن والافضل والانفع . لذلك على كل مسؤول ممن يحملون اعباء التربية في البيت او المدرسة او المجتمع ، ان يدرك ان مبادىء التربية وقواعدها لا تصلح ان توضع موضع العمل بها ، ان كانت مستوردة في بطون الكتب او منقولة على شفاه المحاضرين والمتعلمين ، ما لم تخضع لفعل المؤثرات والعوامل البيئية . فرب مدرسة برونهانموذجية في الغرب ، لا يجوز ان تفرض كذلك في الشرق ، بل ربما دعت الحاجة الى شيء من التعديل بالنسبة الى البيئة في متباعد اجزائها ، او متنوع المناخ فيها او اسباب الحياة عليها . والاعتبار الفلسفي التربوي الحديث ، الذي نوهنا باعتماده الاسلوب العلمي وسيلة للتطبيق ، هو نفسه يفرض على المعلم الاختبار الموضعي الى جانب الاختبار المنقول والقواعد المدروسة . وبما اننا ، في مجتمعاتنا العربية كلها ، ما زلنا نحيا مراحل انتقالية تكثر فيها الازمات النفسية والاجتماعية والسياسية احيانا وجب ان يكون الاختبار المحلي يشغل جانبا كبيرا من النحو الذي نسميه : « التربية الوطنية » .

في التربية الوطنية يجب ان تعتمد عملية التربية تكييفا بين المتعلم وبيئته . وعلى هذا الاساس تصبح وظيفة المعلم ارشاد تلميذه الى تكييف نفسه وفقا لبيئته . ولكننا كثيرا ما نخطىء في استعمال هذه الوظيفة التكييفية ، اذ نجمع ما بين اعتمادها في بيئة تساعد على تفتح القابليات وتعين المعلم على حسن الاعداد للحياة الراقية وبين اعتمادها في بيئة اخرى متاخرة محرومة من الوسائل التقدمية او معزولة عن المرافق الاجتماعية .

وهكذا يجد المعلم نفسه في الوسط المتخلف عن ركب الحياة الحديثة ، مضطرا لان يحدث في تلميذه طاقة لم تكن له من قبل ، ويجهزه باستعدادات لم تتهيا له في ما مضى . ولكن الذي يجري عندنا غالبا ، قائم على تقدير خاطىء يجب ان تعني باصلاحه عناية فائقة . وهذا التقدير الخاطىء يقع لنا فنقع في سوء عاقبته عندما تكلف الدخلاء على مهنة التعليم او المرتزقين بها ان يقوموا بهذا الاصلاح العسير ، الذي يقتضي اختصاصا واختيارا يدعمهما صبر طويل وشعور بالمسؤولية صحيح .

اتمثل نفسي في قرية نائية عن المدن محرومة من وسائل العمران والمواصلات . واذا بي ادخل غرفة قديمة العهد فقيرة الهيكل والاثاث، يحتشد فيها ما يناهز الاربعين فلذة من صغار الجنسين ، يتصدر المجلس فيها شاب في حدود العشرين .. تلك الغرفة مدرسة القرية ، واولئك احداثها القلة لا يصلحون لاعمال الحقل ، وهذا الفتى مرتزق بالحرف من ابناء المدينة ، جيء به ليقوم على اعداد جيل جديد . وينتابني عند هذا المشهد شعور يهز وجداني ويستنفر عاقلتي الى مناقشة الحساب عما يمكن ان يستفيد هؤلاء الاحداث ممن لم تثبت لهم بعد اية صلة بما نسميه تربية خلقية او تدعوه سلوكا اجتماعيا . وكيف يستطيع طالع على هامش الحياة المدرسية غريب عن الاساليب التربوية والعوائد المحلية ان يدخل بهؤلاء او ببعضهم معابير تربية تكفل لهم خروجهم من العاهات التي تغلب على صغار القرية وتنمو بنموهم ، غالبا ؟ من مثل الانطوائية، والشعور بالنقص ، والضعة المشوبة بحب الذات . وهذه كلها تزرع فيهم بذور الخشونة والجفاء وتبعدهم عن الاندفاع في طريق المخالطة ، فلا تتولد فيهم الرغبة في حسن المعاشرة ولا في استعمال ما لان من اللفظ . وبفقدان الرغبة في المعاشرة يعبس جو المدرسة لعيني التلميذ فيضعف فيه الميل الى الاقبال عليها . ويعجز المعلم عن معالجة نفوس تلاميذه وعقولهم فيستعين بعقوبات المدرسة البائدة القاسية ، فتعظم الجفوة بين الصغير ومدرسته وكتابه حتى تمسي كراهية لا قبل له بالتغلب عليها . واذا اضفنا الى هذا التردي المدرسي في القرية الشدة التي يستعملها

الاهلون لاكراه صغارهم على الذهاب الى المدرسة ادركنا عمق الوهدة التي نحفرها بين صغارتلك البيئةومدرستهم، وعلمنا الى اي حد يستمر التخلف الم نخص مثل هذه القرية بمدرسة تنطبق عليها ولو بعض صفات المدرسة الحديثة .

واتمثل نفسي مرة ثانية ، في المدينة ، داخل احدى المدارس الثانوية ، في غرفة تضم بضع عشرات من الطلاب. ونفترض هذه المره . اننا في مكان لا يجمع بين الجنسين ، لكي يبقي الكلام غير مزدوج المتناول . وجدتني والمعلم هناك نتشاكى ضروبا من الفشل في الاعداد الابتدائي الذي نرثه ونتبادل النظر في ما خلف لنا ذلك الاعداد الفاشل من رواسب خلقية وعقد نفسية واضطرابات مسلكية يصعب النجاح في اكثرها ويستحيل في بعضها . وفيما نحن ننظر في مواضيع العلل المحمولة الى الثانوية عن مقاعد الابتدائية ونحاول معالجتها اذا بنا امام علل اخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية ايضا . وكلها من مفروضات البيئة التي لا مناص من تاثيرها على المدرسة . فمهمة التربية الوطنية في اساسها ، ان يجتمع البيت والمدرسة والمجتمع في مؤالفة توحد المناهج وتقرب ما بين النزعات والاتجاهات فتصبح صالحة للوقوف في وجه ما يمكن ان تصطدم به من الانانيات والعصبيات التي تكثر عادة في المراحل الانتقالية في كل بلاد . وعملا بهذه المهمة التربوية علينا ، بعد الهزات العنيفة التي عانيناها وما نزال نعمل جاهدين لمحو آثارها ، ان نعتمد في بناء الجيل الجديد ابداعية تكييف جديد .

هذا الابداعية يجب ان تجعل من رسالة المعلم عملية تنظيم في الحياة المدرسية واشاعة الذوق فيها ودفعها في دروب المعرفة والثقافات الحديثة بشكل يرتفع دائما عن مستوى حياتنا العامة . وهكذا يصبح الجانب الرئيسي من وظيفة المعلم أن يساعد على خلق عقليات متقاربة ووجدانيات متشاركة وصفات اجتماعية متماسكة .

وهنا ، في القدرة على هذا التكييف الحديث لخير المتعلم ولخلق روح المواطنة فيه ، يكون فضل المعلم . وبهذه القدرة يتميز المعلمون المربون عن زملائهم من المعلمين الحرفيين وسواهم من المرتزقين . وخير ما نفعله في سبيل تربية وطنية ترتفع باثر البيئة حيث يجب ان يرتفع ولا تنزل اليه ، هو ان نجعل من المدرسة الوسط المعلم والبيئة القدوة. فيكون المفروض في معلم القرية ان يكون كفوءا لرفع متعلمي القرية او ما يدانيه لا النزول الى مستواهم او ما هو اليه ...!! ويكون المحتوم على معلم الثانوية ان يكون بناء في النفوس خلاقا في اسباب الابقاء على روابط الوطنية، والقدرة على تشذيب الصفات القومية فلا تبقى مشدودة الى عصبيات كأنها رياح قبلية ، ولا مشوبة باهواء مرتهنة لفردية لا صلة لها وثيقة بخير المجتمع .

اذن نحن مدعوون الى احداث طاقة خلقية تنمو فيها الامكانات العقلية الى درجة يصبح معها الناشىء قادرا على تسيير دفة شخصيته مستطيعا ان يدفع عنه خطر الانجراف مع اول تيار جامح يتعرض له . ولكي تكون هذه الطاقة كذلك علينا ان نبعد عنها مثيرات الغرائز ومشبهات الاحقاد .

ونحن مدعوون الى العهدة بهذه المهمة الصعبة الخطيرة الى من لا يعرضون خطورتها في البناء الى اي خطر ، وسواء اكان ذلك التعريض عن عجز او عن سوء امانة .

ونحن مدعوون الى احلال رسالة المعلم في مكانها من بناء الاوطان لانها ملكة في الاساس ، وكل بناء لا يرسخ اساسه يبقى ساكنوه عرضة لمخاوف الانهيار .

نسيم نصر

شعرها

يا شعرها يا موجة في دمي   يا شقرة تهزا بالانجم
يا خمرة غفت على نرجس   يا رقة العبير في البرعم
خصلاته البلهاء يا فتنتي   أغرودة من عالم مبهم
اناملي الرعشاء تهفو لها   في ظلها تود لو تحتمي
وخافقي ـ يا حلوتي ـ جن من   جديلة ترقص او ترتمي
والشال يا للشال كم هزني   كم شب نارا في ربى اعظمي
يصرخ بي جوع ويندي اسى   وتغتلي الحرقة فوق الفم
فشعرها والشال ترنيمة   هام بها كاسي وغنى دمي

بغداد   **مزيد الظاهر**

الخليقة والحرية

• • •

ثريا ملحس

ان لم تكن انت انت
يا ربنا يا ابانا
فواجب ان تكون
انت الرحيم الرحيم
امامك

نحن واحد
لا فرق تغدو لانثى
ولا ذكر
لا حياة
ولا حجر
كلنا لك
«وخلقناكم انثى وذكر»
نحبك
لا نخافك
نرضى رضى في القلوب
يا سيد الكون انت
يا ملجا للضمير
ما هم قلب ربيب
قلب الرجال العنيد
هم الفوا الاسطورة
هم وحدهم بالحديد
من قال كنا نتوه
ضلعا ، غدا بالوجود
تلك الاساطير تلهو
بالورد لا بالقصيد

نحن الدنى لا نروم
الا انتزاع القيود
نحن الضيا لا نريد
الا مرامي الخلود

ان قلبنا راح ينشد
او عقلنا راح يملي
تروى الدنى من مثانا
من شعرنا من غنانا

ان لم تكن انت انت
يا ربنا يا ابانا
فواجب ان تكون
في رحبنا في سمانا.
خلقتنا دون فرق
باركتنا بالعطاء
يا امننا يا حمانا

زيبا النسا شاعرة من الهند

بقلم نقولا يوسف



يوما باسما من عام ١٦٤٦ .. وقد استيقظت « دلهي » ـ العاصمة الهندية العظيمة ، ذات الحدائق الزاهرة ، والمساجد العامرة ، والهياكل الفاخرة ـ على دق الطبول ، ومسير العساكر للاصطفاف في الميدان الكبير .. واعدت في القصر الملكي المحتضن لعرش الطاووس ، وليمة فخمة .. واحتشدت جموع الفقراء لينال كل نصيبه من الثلاثين الف « مهور » التي تبرع بها الامبراطور .. وعطلت المصالح والدواوين يومين كاملين ..

تلك كانت اوامر « اورنجزيب » ـ امبراطور الهند المغولي ـ حفيد الطاغيين جنكيز خان وتيمورلنك ، حين زفوا اليه البشرى بان كبرى بناته : « زيبا النسا » ـ اي زين النساء ـ الطفلة التي لم تتخط السابعة من عمرها بعد ، اتمت حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ..

والحق ان « زيبا النسا » كانت منذ طفولتها على جانب كبير من الذكاء ، كلفة بالعلوم والاداب .. فاحضر لها ابوها معلمة اسمها « مياباي » ، لازمتها طويلا ، وعلمتها اللغة العربية الى جانب الفارسية .. كما اختار لها صفوة الاساتذة ، فبرعت على ايديهم في الدين والفلك، والرياضيات والادب .. ورات ان تكتب تفسيرا للقرآن ، فنهاها ابوها عن ذلك لصغر سنها ..

ولا شك ايضا انها ورثت ميولها الادبية والفنية عن اسلافها .. فلقد نشات في اسرة لم تلهها الحروب والغزوات عن الاهتمام بالفنون والاداب .. وندر في اباطرة المغول واقطابهم ـ حتى الطغاة منهم ـ من لم يتعلق بفرع من فروع الفن او الادب ، او البحث في الفقه والدين .. بل لقد ترك بعض افراد تلك الاسرة عددا من المؤلفات ودواوين الشعر ، باللغة الفارسية خاصة ، وكانت لغة الثقافة في الهند آنذاك ..

فكان جدها الاكبر : « بابر » ـ الملقب بظهير الدين محمد ـ مؤسس تلك الامبراطورية المغولية في الهند ، والقائد الحربي المغامر الذي زحف من تركستان ، واستولى على افغانستان ، ثم واصل الفتح حتى بلغ البنغال ، ولقب نفسه « بامبراطور هندستان » .. كان على الرغم من انهماكه في الحرب وتنظيم الفتوحات حتى وفاته عام ١٥٣٠ ، شاعرا ينظم بالفارسية والتركية ، وترك مذكرات مكتوبة باسلوب رشيق ..

كذلك كان ابنه « ميرزا قمران » شاعرا ينظم بالفارسية ، وكانت ابنته « جول بادان » ـ اي زهرة البستان ـ كاتبة انشات تاريخا لعصرها ، والفت كتابا شائقا عن ابيها « بابر » .

ولكن يبدو ان الشاعرة زيبا النسا انما ورثت الكثير من خلقها وصوفيتها الدينية وافقها الرحب ، عن جدها « اكبر » ـ ابو الفتح جلال الدين محمد ـ الذي حكم طويلا فيما بين عامي ١٥٥٦ و ١٦٠٥ وشملت دولته معظم ارجاء الهند .

وكان « اكبر » اعظم سلاطين الدولة المغولية ، وارجحهم عقلا وتفكيرا .. وكان اميا لا يكتب ، ولكنه كان يتثقف عن طريق السمع ، فيجالس الفلاسفة وعلماء الدين ، ويتباحث معهم ، ويقيم المساجلات والمناظرات في المسائل الفلسفية والدينية .. وكان وزيره ابو الفضل يسجل اراءه وحكمه في كتاب جمعه باسم « آين اكبري » ..

كما وهب « اكبر » ذوقا فنيا حسنا ، وتقديرا للفنون والاداب ، فازدهرت في حكمه الطويل مدارس هندية ايرانية للتصوير والمعمار ..

وكان مفطورا على التسامح الديني والعنصري ، معروفا بالاعتدال والرحمة ، على النقيض في ذلك مع اكثر اجداده المشهورين بالطغيان والجبروت ..

ومع انه كان من سلالة المغول المسلمين ، فقد عد نفسه مواطنا هنديا ، واتخذ له وزيرا هندوكيا ، واعوانا من مختلف العقائد ، وعين بعض الهندوس قوادا في جيشه ، واجاز الزواج بين المسلمين والهندوكيين ، وتزوج من اميرة هندكية ، وظل يعمل على تقريب مسافة الخلف بين رعاياه المسلمين والهندوس ، مساويا بينهم في الضرائب المفروضة وفي سائر المعاملات ..

ثم راى ان يدعو علماء المسلمين والهندوكيين والمسيحيين والبوذيين والزرادشتيين واليهود ، وغيرهم الى مؤتمر يتفقون فيه على جوهر « الدين الالهي » ، وينبذون بعده الاختلاف ، كي يعيش الملايين من رعاياه الهنود في سلام واخاء ، لا تنشا بينهم المنازعات وسفك الدماء .. وظل المؤتمر مجتمعا شهورا ، وكان « اكبر » يحضر مناقشاته ، ولكنه انفض على غير وفاق ..

وعندئذ وجه « اكبر » اهتمامه الى بناء امة متحدة عن طريق التمسك بالفضائل المشتركة بين جميع العقائد ، فحرم بعض التقاليد كاحراق الارملة عند الهندوس ، واجاز زواج الارامل ، وحبذ التزاوج بين المسلمين والهندوكيين ، ووضع اللغة الاردية ـ وهي الخليط من العربية والفارسية والتركية والهندية ـ زيادة في التقرب والتفاهم .. كما شيد المعاهد والعمارات ، ومدرسة للنقش الهندي الايراني ، متاثرة بالطراز الايطالي ..

فكان لمبادئه السمحة اثر في طول البلاد وعرضها ، واستتب السلم والعدل والتسامح ، كما حدث في عهد « اشوكا » البوذي العظيم الذي حكم الهند في القرن الثالث قبل الميلاد ، والذي سارت بعصره الذهبي الامثال ..

ولكن بوفاة « اكبر » انتهت سياسة التسامح ، وعاد خلفاؤه الى السياسة القديمة ..

وخلفه « جيهان جير » ، وكان ايضا محبا للفنون ، وكتب ذكريات خاصة ، كما فعل « بابر » .. ودون في القوانين كتابا سماه : « دستور العمل » .

وتلاه « شاه جيهان » الذي اشتهر بحبه الروماني لزوجته « ممكار » . فخلد ذكرها عندما فجع بموتها،بذلك الاثر المعماري المرمري الرائع « تاج محل » بمدينةاجرا .. تلك التحفة التي جمعت بين روعة الفن الهندي والفن الاسلامي ..

واخيرا فقد كان ابوها الطاغية « اورنجزيب » ـ الذي حكم معظم الهند فيما بين ١٦٥٨ و ١٧٠٧ ـ ايضا ـ على شغف بالمسائل الدينية ، ووضع بعض الكتب في الشريعة ، واشتهرت مجموعة رسائله المسماة : « رقعة عالم جيري » ـ اي الرسالة المنتشرة في العالم ـ وذلك مع انهماكه جل حياته في الحروب وفي مقاتلة عدوه « سيفاجي » حاكم الهند الجنوبية .. كما شيد عام ١٦٥٩ : « مسجد اللؤلؤ » في « القلعة الحمراء » بدلهي ، ورصفه كله بالمرمر البديع ، وكان على صغر حجمه يعد من روائع الفن المعماري .

وبقيت اسرة « اكبر » تحكم الهند او بعضها حتى عام ١٧٥٧ حين ثارت على الانجليز ، وقادت الشعب الهندي ـ هندوكيين ومسلمين ـ في كفاح مر ، من اجل استقلال الهند .. ولكن الانجليز استطاعوا تحطيم الثورة، وسجنوا السلطان المغولي الى ان مات في السجن ..

* * *

في هذا الوسط الشرقي ، المهتم بالفنون والآداب ، وفي تلك البوتقة التي انصهرت فيها الحضارات والعقائد ولدت الشاعرة الحسناء زيبا النساعام ١٦٣٩ لابيها اورنجزيب ملك الهند المغولي، ولامها (البيجوم) « بانو ديلراس » ابنة الشاه « نواز خان » .. ولقيت كل تشجيع ومعاونة على الدرس والمناقشة والبحث .. وفي قصور ابيها المتزمت الصارم ، الصامت العبوس ، الذي قضى حياته في الحرب والغزو والسفك ، عاشت الشاعرة سني حياتها الخمسين ، متسامية بشاعريتها وصوفيتها على مطامع الحياة الدنيا .

كانت شاعرة قبل كل شيء .. تستشف العالم المنظور ، وتستكنه ما وراء المنظور ، بعين الشاعر المتامل .. وكانت حياتها قصيدة من الشعر ، او ملحمة من ملاحم الاساطير .. ولم يستطع ترف القصور ، او سلطان المال ، او نعيم الدنيا كلها ، ان يفسد تلك النفس الشاعرة ، المتواضعة ، المتصوفة .. او كما قالت : « انا ابنة ملك ، ولكني اتخذت طريق انكار الذات . وهذا فخري . كما ان اسمي ـ زيبا النسا ـ يعني زين النساء وفخرهن ! »

وبدات تنظم بواكير شعرها بالعربية .. غير ان اديبا عربيا صارحها مرة بقوله : ان شعرها العربي ، وان كان جيدا رصينا ، فهو هندي اللون . وقال : « ان ابا كان كاتب هذا الشعر فهو هندي »!.

فثبط هذا من همتها في النظم بالعربية ، وانصرفت الى النظم بالفارسية .. وكانت الفارسية هي اللغة الرسمية لبلاط المغول في الهند ، كما كانت لغة الثقافة والمثقفين .. واليها ترجم الكثير من المؤلفات المكتوبة باللغة السنسكريتية ـ اللغة الهندية القديمة ـ ونشا من امتزاج الفن الفارسي بالفن الهندي ، طراز فني جديد تجلى في المباني العظيمة التي اقامها المغول .. كما نشا من انتشار الادب الفارسي في الهند ، ادب تجتمع فيه الالوان العربية والفارسية والهندية ، كما تجتمع الازهار المختلفة الشكل والعطر في حديقة واحدة .. نرى ذلك واضحا في شعر « كبير » الشاعر المسلم المتصوف الذي ولد في بنارس (١٤٤٠–١٥١٨) وفي شعر زيبا النسا .. وغيرهما من الشعراء المسلمين الهنود خاصة .

وكانت زيبا النسا تنظم الشعر خفية في اول الامر .. حتى عثر استاذها شاه رستم غازي ذات يوم على بعض قصائدها مخفية في كراساتها .. فاعجبته ، وحثها على المضي في هذا الطريق .. وتنبا لها بذيوع الصيت في دنيا الشعر .. بل انه عرض على ابيها ان يدعو بعض شعراء الهند وايران الى دلهي ، لتجتمع منهم ندوة ادبية تحضرها الاميرة .. وكان عجيبا ان يقبل اورنجزيب المتزمت الصارم، هذا العرض ، وهو من حرم تلاوة اشعار حافظ الشيرازي ـ الشاعر الايراني المتصوف الكبير ـ على تلاميذ المدارس ونساء القصر ، لاسرافه في الالفاظ الغزلية والخمرية ، وان كانت هذه الالفاظ رموزا وكنايات ومجازات يعرفها المتصوفة .

وبذلك اصبح للشاعرة في قصرها « صالون » ادبي ، يجتمع فيه الشعراء : ناصر علي ، وسياب ، وشمس والي الله ، وبراهمين ، وبهراز .. وغيرهم ..

وجاء الشاعر ناصر علي من سرهند ، وكان على فقره معروفا بالاباء والترفع عن حماية الامراء .. ولكن زيبا النسا كانت معجبة بشعره ، وكان هو معجبا بها .

وفي تلك الندوة كانت تدور المساجلات الشعرية ،المعتمدة على البديهة الحاضرة . وكان يرتجل الشاعر بيتا ، وقد يكون في صيغة السؤال ، فيجيب عليه الاخر شعرا او يعارضه فورا ، او يعقب عليه ببيت او بابيات من القافية نفسها .. وكانت شاعرتنا كوكب تلك الحلقة وملهمتها .. غير انها كانت طبقا لتقاليد عصرها او لاوامر ابيها ، لا ترفع القناع عن وجهها بين الرجال .. ولعلها كانت ترى في ذلك معنى في باب الرمز والخفاء ، وهي من اتخذت « المخفي » كناية لها ورمزا .. ودعت ديوان شعرها: «ديوان المخفي»!

ومرة داعبها الشاعر ناصر علي ببيت معناه : « يا من يحسدك القمر ، هلا رفعت قناعك ، لاتيه عجبا بجمالك»!!

فاجابته نظما :

« لا .. لن ارفع قناعي ! وما ادراني .. اذا رفعته ! قد ينسى البلبل وردته !.

وقد يشيح الناسك البرهمي ، المتعبد لجمال «لكشمي» بوجهه عنها ..

ليتظر الي !..

الم تر الى الزهرة المحتجبة فى الخميلة :
ينم عنها عطرها ، دون ان تراها العيون ..
وانا ــ ايضا ــ يستطيع العالم ان يراني خلال اشعاري دون ان ارفع قناعي !. »

* * *

ومع ذلك ، فقد اجمع كل من عرفها ، على انها كانت غادة حسناء ، طويلة القامة ، هيفاء العود ، ذات وجه ابيض مستدير ، به شامتان على الخد الايسر ، وعينين سوداوين ، وشعر حالك السواد ، وشفتين رقيقتين ، واسنان صغيرة ، وثغر باسم .. وانها كانت لا تتجمل بكحل الرموش ، لا « بالمسيا » لتسويد ما بين الاسنان ، كما جرت العادة بين نساء عصرها ..

وقالوا ايضا ان صوتها كان عذبا شجيا .. واذا ما رتلت القرآن ، ابكت سامعيها ..

وكانت بسيطة الملبس ، متحشمة ، فلما تتزين بغير عقد من اللؤلؤ حول عنقها .. وكانت تفضل الحلل البيضاء فى سنيها الاخيرة .. وقيل انها ابتدعت زيا لنساء الهند ، عدلته عن زي نساء تركستان ، وانه ما زال يلبس فى الهند الى اليوم ..

وهناك اليوم فى متحف لاهور صورة لها تطابق تلك الاوصاف

اما فى داخل القصر ، فكانت الشاعرة تستمتع بقدر وافر من الحرية .. وتكاتب الكثيرين من علماء عصرها ، وتناقش الراي .. وتحظى بمحبة عمها « دارا شكوه » ــ وكان اديبا واسع الافق ، اعتادت ان تهدي اليه بواكير شعرها. وكان بعض غزليات ديوانه من نظمها .. بل لقد خرجت الى البلاط واشتركت فى مجالس ابيها، والقناع دائما على وجهها

وكانت لها صوفيتها الخاصة فى رحاب الدين .. وكثيرا ما كانت تنطلق على اجنحة الشعر فى الافاق الشاسعة ، متحررة من القيود والسدود .. حدث ان كانت تتمشى يوما فى الحديقة ، فسحرها ما حولها من جمال ، فراحت تتغنى كعادة الشعراء ببيت معناه : « اربعة يجلبن السعادة : الزهر والخمر ، ومجرى الماء ووجه الحبيب ! » . وما ان وقعت عيناها على ابيها جالسا تحت شجرة ، حتى تظاهرت بانها لم تره ، وانشدت : « اربعة ضروريات للسعادة: الصلاة والصوم والبكاء والتوبة » !

وكانت متضلعة فى المسائل الدينية الجدلية .. سنية المذهب كابيها ــ ظاهريا ــ بينما كان اخوها محمد معظم ، شيعيا .. فاذا ما حدث فى البلاط نقاش مذهبي ، دعيت الشاعرة للفصل فى الموضوع .. حدث مرة ان كان رايها فى احدى تلك المساجلات بارعا ، فدون وارسل الى ايران وطوران .. وقيل ان عشرات من السيدات تحولن الى المذهب السني فى تلك المناسبة .

ولكنها ــ كما سلف القول ــ كانت تنزع مثل جدها العظيم « اكبر » الى التسامح الديني ، والتفاهم بين الاديان .. وقد درست الى جانب الاسلام ، سائر الديانات الكبرى ، ومذاهب المتصوفة .. بل لقد كانت فى بعض شعرها تصف الشمس كرمز للقوة الالاهية .. وتجمع بين المسجد الاسلامي والمعبد الهندوكي بقولها ان الله فيهما معا على السواء ، كما كان يقول من قبل الشاعر الهندي المسلم المتصوف « كبير » ــ المتوفي عام ١٥١٨ ، تلميذ « براما نانرا » ــ المعلم الهندي العظيم الذي عاش فى القرن الخامس عشر ــ ودعا الى وحدة الوجود ، ووحدة الاديان ، والى الاخاء العام فى ظل اله واحد .

ولا شك ايضا ان الشاعرة زيبا النسا قد درست الى جانب الاسفار المقدسة لمختلف الاديان ، دواوين من سبقها من الشعراء لا سيما المتصوفة منهم ، وكثيرا ما تشير فى بعض ابياتها الى بعض الاسماء الواردة فى تلك الاسفار . كموسى وعيسى ويوسف .. او الى بعض الشعراء كمجنون ليلى ، ومنصور الحلاج .. ولا شك انها اطلعت على دواوين كبار الشعراء الايرانيين مثل سعدي ، وعمر الخيام ، وخاصة حافظ الشيرازي ، وجلال الدين الرومي وفريد الدين العطار ، وقد اشتهر الثلاثة الاخيرون منهم بالغزليات والخمريات الصوفية الرائعة .. ودواوين كبار المتصوفة العرب كرابعة العدوية ، ومعروف الكرمي ، وذي النون المصري ، ويحيى الرازي ، وابو حامد الغزالي ، وعمر بن الفارض ، ومحيي الدين العربي .. وهناك نحو اربعين اسما من مشاهير المتصوفة الذين ترك بعضهم الدواوين الرقيقة الشعر ، او المؤلفات ، او الشروح .. وكان بعض اولئك الشعراء قد بدا حياته مع محبوب بشري عرفه ومعشقه ، ثم تسامى بهذا الحب الى سماء الحب الالهي ، وخلص الى حياة روحية متجردة من دوافع الحس ونوازع الهوى ..

وقد حاكتهم زيبا النسا فى غزلياتهم وخمرياتهم الصوفية الرمزية ، ولكنها تفردت بطابعها الحزين الذي يصبغ الكثير من شعرها بسبب ماساة حياتها وقصة حبها .. ولكنها ظلت شاعرة الحب فى اروع صوره واتقى معدنه ــ الحب الشامل الذي يدمجها فى ربها ــ ذلك « المحبوب » الذي تناجيه فى عشق صوفي عميق ، جعل من قصائدها فى اصلها الفارسي ، صلوات ومزامير ما برح يرتلها كثيرون من المتعبدين فى الهند وايران ..

« الى حبك يتعطش روحي وجسدي ..
ومثل منصور الحلاج ، تصرخ فى ذرات هذا الهيولي :
هي الجزئيات ، وانت الكل .. وهي هي الله !
وكما يحدث عند قدوم امطار الربيع ،
فتسري انهار من العصير فى الاشجار النامية ،
كذلك يجري حبك فى عروقي حتى الى الشعيرات الدقيقة من قلبي !
البلبل يترنم بحبك ..
وحبك هو ما جذ بالفراشة نحو النار ،

فتحرق جناحيها الحريريين ..
وها ان خمرة اشتهائك ، بشفة كل كأس تلتصق ! »
وتنشـــد :
« سواء افي حرم مكة المقدس ..
ام فى المعبد الذي تطأه اقدام الحجاج ..
فأنت لي هناك ..
وحيثما يعبد الله فهناك ربي !
فى المسجد ابحث عن مزار معبودي ..
وفى يوم الدينونة سوف نلقى الصعوبة الكبرى ..
لنبرهن على اننا كنا مؤمنين صادقين ..
ما لم نأت معنا بوثن معبودنا كشاهد علينا ! »

* * *

كان نعيم الدنيا وذهبها ، ومشتهياتها وبذخها .. كلها تحت قدميها !. كانت تنعم بالشباب والجمال ، والفراغ والمال .. وجنات الواقع والخيال .. كانت تعيش فى قصور آبائها ملوك المغول فى دلهي ـ تلك القصور التي عجـــــر الواصفون عن وصف فخامتها وكنوزها ، وكان بينهـــــا « عرش الطاووس » الذائع الصيت الذي يتحلى ذيلـــه بالياقوت والزمرد والعقيق ، تتلألأ كالنجوم ، ولا تقدربثمن!

وكانت زيبا النسا اميرة الاحلام التي تهفو اليها قلوب العشاق ، وتصبو نحوها اخيلة الشعراء .. غير ان متاعم الحياة الدنيا لم تفسد نفسها ، فكانت متواضعة القلـــب ، وديعة ، صبور .. تحب البساطة فى العيش والملبس ، وتتحمل الالم فى تغلـــف ، ولا تبدو للناس مقطبة الجبين .. وفى نفسها دائما ذلك « القلق المقدس » الذي يدعو الى التفكير والتطلع ، والحنين الى ما هو اعظم من الماديات. وكانت تنفق جل راتبها الخاص على تشجيع الادباء،واعانة الارامل والايتام ، وارسال الحجاج كل سنة الى مكةوالمدينة على نفقتها ..

واما هوايتها المفضلة عندها ، فكانت جـــــمع الكتب ومطالعتها .. فانشأت منها مكتبة عامرة ، وكلفت مهـــرة النساخ فى نقل الكتب النادرة ، وعينت فى « كشمير »عددا منهـم لهـــذا الغرض ، اذ كان لهذه البلدة صيت فى تفوق ورقها ونسخها . فكان عملهم متصلا ، واهتمامها بهـــذا العمل بالغا .. وكانت تقضي ساعات الصباح فى تصفح ما يرد اليها فى اليوم السابق من مخطوطات ..

وكان لذيوع شهرتها بالادب ، ان راح الادباء يبعثـــون اليها بمؤلفاتهم لتبدي فيها رايهـــــا .. وكانت تكافىء المجيديـــن منهم ..

اما رياضتها فكانت فى الحدائق ..تحب غرسهــــــا وتنسيقها ، والتمشي فيها وحدها او مـــع صديقاتها ولا سيما مع صاحبتها المقربة اليها « امامي » وكانت شاعرة مثلها .. هذا الى مهارتها فى اللعب بالسيف . .

وشاء مرة جدها « شاه جيهان » ـــ صاحب « تــــاج محل » ـــ ان يخطبها الى سليمان شيكوه ابن عمها دارا شيكوه .. ولكن اورنجزيب ـــ اباها ـــ كان يكره دارا ويخشاه .. فلم يشأ ان يتم هذا الزواج ، وتآمر على قتل الشاب بالسم خفيـــة ! .

وتقدم لخطبتها الكثيرون .. ولكنها كانت تشترطـرؤية الخاطب ، واختبار مواهبه قبل عقد الخطبة .. وكان بين هؤلاء شاب اسمه : « ميرزا فاروق » ابن الشاه عبـــاس الثاني الايراني .. فطلبت ان يحضر الى دلهي لتراه . فحضر فى حاشية كبيرة . واولمت له الشاعرة فى خميلة بحديقتها وعلى وجهها قناعها !. وفى اثناء الوليمة ، سالها الشابنوعا من الحلوى بكلمات مجازية تعني القبلة .. فلم يرقهامسلكه، واجابته : « سل ما تريد من مطبخنا .! » واخيرا رفضت يده مع وسامة وجهه .. ولم ييأس الامير العاشق . فبعث اليها بابيات من الشعر الساذج يقول فيها :

ـ « عزمت على الا اهجر هذا الهيكل . فها هنا سوف احني راسي ، وهنا سوف انبطح ، وهنا سوف اخـــدم . وهنا فقط القى السعادة !! »

فاجابته الشاعرة :

ـ ايها الطفل ! ما اخف تقديرك للعبة الحب هذه ! ولكن .. انى لك ان تعرف ما لوعة الشوق ! وما نار الفراق .. وما شعلة الحب المحرقة !؟

.. وعاد الامير الى بلده بخفي حنين !..

* * *

وزيبا النسا التي عاشت للحب ، وامتزج كيانها باسمه ، ولم تخل قصيدة لها من ذكره .. ومن كانت حياتهـــــا انشودة من اناشيد الحب ـ حب الله ، وحب الجمـــال ، وحب الهوى ، وحب الخليقة كلها ـ كانت تنتظر ايضــــا فتى احلامها ـ الرجل الحبيب ـ وتتوقع قدومه يوما ..

واقبل الحب والمحبوب يسعيان اليها .. ولكن شاءت المقادير الا يأتي هذا الحب مقرونا بالسعادة والسلام !..

حدث هذا فى مستهل عام ١٦٦٢ . وكانتالشاعرة فى رونق العمر ، ونضرة الشباب .. كانت فى الثالثة والعشرين .. تملأ الدنيا حولها بهاء وعطرا وشعرا .. حين مــرض ابوها واشار عليه الاطباء بتبديل المكان والهواء .. فانتقل مع اسرته وحاشيته الى مدينة « لاهور » ـ حاضرةالبنجاب الجميلة ، الجاثمة فى سهول السند ومراعيه ، عند اقدام الهيمالايا المطلة مـــن الشمال .

وكان حاكم لاهور آنذاك شابا يدعى « عقيل خان » ابن وزير من وزراء اورنجزيب .. وكان فتى شجاعا وسيما، شاعرا .. سمع عن زيبا النسا واطلع على شعرها ، وتاق الى رؤيتها ..

فلما جاءت الى لاهور ، زاد شوقه ، وراح يتظاهـــــر بحراسة المدينة ، ويطوف بجواده حول اسوار القصر ، عله يحظى بنظرة اليها ..

وحالفه التوفيق مرة ، فلمحها واقفة على سطح القصر ساعة الفجر ، مرتدية بثوب فى لون زهرة الرمان القرمزية

.. فقال بيتا معناه :

ارؤيا تجلت فى عيوني نديـــة   على سطح بيتام تصاوير من شفق؟

واتصل بها ما قال فاجابت :

رضعت عسن لمس فلست تنالني   بمال وملـك او تضرع محترق !

وبعد ايام علم « عقيل » بخروجها مع بعض صديقاتها لترى مظلة من الرخام شيدت فى الحديقة التي غرستهـا بلاهور ، فتخفى فى زي بناء ، وحمل وعاء التراب ، واحتال على اجتياز الباب ، ودخل الحديقة ..

وهناك رآها تلهو مع صديقاتها ، واقترب منها هامسا ببيت معناه :

اتيـت اليـك والاشواق تحملني   ترابـا طـاف بالدنيا ولـم ادر !

فعرفته ، واجابت فى دلال :

وان اصبحت مثل الريح ما لمست   يداك جـديلة كالليل مـن شعري !

ولكن الحبسرعان ما ربط بينالقلبين الشابين الشاعرين .. وراح الحبيبان يتقابلان بعد ذلك فى الحديقة .. وتكرر اللقاء .. غير ان الخبر ما لبث ان بلغ اورنجزيب - وكان فى دلهي .. فبادر فى العودة الى لاهور ، وراى ان يسكت الالسنة فيزوجها فورا من احد الخطاب .. ورجته ابنته ان يدع لها حرية الاختيار،وان ترسل اليها صور الخاطبين. فلما جاءتها الصور ، اختارت واحدة منها — وكانت صورة « عقيل خان » ..

وعندئذ بعث اورنجزيب يستدعي الفتى اليه .. ولكن منافسا حاسدا علم بالامر ، فكتب الى عقيل يقول : ليس حب السلطان لعبة من لعب الاطفال يجعل اورنجزيب مطلعا على افعالك ، ولسوف تحصد الثمار يوم تاتي الى دلهي !

واعتقد « عقيل » ان اورنجزيب يدبر له مكيدة — وهو من عرف بالمكر والقسوة والجبروت .. وبينما كـانت الشاعرة تنتظر قدوم حبيبها ليتزوجها ، اذا به يكتب الى ابيها معتزلا وظيفته .. ويختفي !.

وصدمت الفتاة فى حبها .. وشعرت باحتقار شديـد لنفسها . وقالت : « لقد هجرنا عقيل بسبب بعـــض الحماقة ! » .. واتصل به ما قالت فاجاب : « وكيف يقدم العاقل على ما سوف يندم عليه ! » .

ومع ذلك فلم يستطع عقيل الا ان يعود الى دلهي خفية ليرى حبيبته . ولعله ندم على ما بدر منه من خوف .. وتقابل الحبيبان فى الحديقة .. وطار النبا الى اورنجزيب، فتملكه الغضب ، وهرع الى الحديقة بنفسه . وبوغتت الفتاة بقدومه .. ولم تجد وقتا لانقاذ عقيل فاخفته فـي لهفة داخل وعاء ماء كبير ..

ولم تفت اورنجزيب هذه الحيلة ، وسألها عما يحتوي الوعاء . فقالت : « ماء للتسخين » ! فقال : « ضعوه اذن على النار ليسخن ! »

ونفذ امر الملك !. ووقفت الفتاة فى صراع بين السمعة والحب .. ولم تستطع ازاء بطش ابيها ان تفعل شيئا .. وضحى عقيل بحياته من اجل سمعتها .. فكانت بعد ذلك تقول : « ما مصير العاشق الا ان يصلب من اجل مسرة العـالم ! »

وكان هذا الحادث بداية عهد للشاعرة ، كـله احزان ودموع ، وزهد وتفرد .. هو العهد الذي نظمت فيـه قصائدها الباكية ، وصلواتها الحزينة ، ولجات فيـه الى احضـان الله ..

« خمر ابتهاجي فقدت مذاقها !
وارض وجودي تحولت الى يباب !
لا ينمو بها عشب صالح ، بل عوسج فحسب ..
امـا ربيع حياتي فقد خبت شعلته وذهبت ..
فتشمت من مسرة ، ولم يجد بحثي عن غاية ..
يداي الفارغتان الممتدتان ، لا تستطيعان تحية صديق !
واذا لم تتداركني رحمة السماء ، تحولت صلواتي الى هشيـــم !. » (١)

* * *

ولم يقنع اورنجزيب باعدام حبيب ابنته على تلـك الصورة المغولية ، بل امر بسجنها فى قلعـة « سالمجار » بحجة تحيزها الى عمها « دارا » الذي ثار عليه ، وعطفها على عدوه زعيم الجنوب « سيفاجي » وكان يقاوم الزحف المغولي على المدن » ..

وهنا هجرها كل اصدقائها واقاربها خوفا على انفسهم من بطش ابيها .. بل لم يجسر احد فى البلاط ان يتحدث عنها ، او يجرا على تسجيل سيرة حياتها وشعـرها .. وكان هذا سببا فى ضياع ترجمة تلك الحياة الحافلـة لهذه الشاعرة ..

وفى السجن قضت اعواما قاسية .. وفيه نظمت اشعارا كثيرة تفيض بالاسى والمرارة .. وكتبت مرة تقول :

« ما دامت هذه الاصفاد معلقة بقدمي ،
فقد تحول اصدقائي الى اعداء ، واهلي الى غرباء !
فما عساي ان افعل ، ليظل اسمي غير ملوث !.
بينما يداب صحابي على تلويثه !! »

وتخاطب نفسها — وكانت كما سلف تتخذ لقب «المخفي» او المحتجبة — كناية لها :

« عبثا تنشد العزاء فى سجن الحزن ، يا « مخفي » !
ولا امل هناك فى اطلاق سراحك.. والى يوم الديتونة..
وما كان امر تحررك بمسالة سياسية ..
وحتى من قبر «المجنون» يصل الى مسمعي صوت يهتف:
«ليلى! لا راحة لصريع الحب حتى فى القبر ! »
ما جنيت شيئا فى حياتي غير الاسى والندم
ودموع امنية لم تتحقق !. »

(١) عن ديوان « زيبا النسا » — خمسون قصيدة غزلية ترجمها الـى الانكليزية نظما عن الفارسية — ماجان لال وجسي دنكان وستبروك — طبع بلندن عام ١٩١٣

وفي سجنها تنشد :

« منفاك طويل يا « مخفي » وابدي حنينك !
طويل ما سوف تنتظر . وقلبك في الداخل يحترق !
تتطلع الى عودتك لبيتك!. فاي بيت لك الان ايها التعس!
السنون ولت وتركته مهجورا ..
وغبار الزمن يهب من بابه ..
ولئن قال لك الله يوم الحساب :
ساجازيك وفاء ، وعن شقائك ساعوضك ..
فلن توازي افراح السماء كلها ، شقائي !
ولو صبت علي نعم الاله وبركاته ،
لظل مع ذلك مدينا لي !! »

ولكن ذكراها لم تتضاءل من قلب الشاعر ناصر علي ، كما تضاءلت في قلوب غيره من اصدقائها . وبعث اليها مرة قصيدة يقول فيها : ان الدنيا لم تعد تبتهج بعد غيبتها ، وان عليه ان يطوف حول الارض تعسا لا يلقى من يقدر شعره غير نفسه !..

ولكنها لم تجب .. وظلت تنظم الشعر لنفسها ، والصلوات لربها :

« هوذا طريق الحب .. ما اظلم سبله الملتفة وما اطولها!
وما اكثر شراكه المنبثة فيها !
ومع ذلك فجموع حجاجه الوالهين يندفعون فيها قدما
ويتساقطون كالحمام في شبكة الصياد !
الا خبرني ما المحبة التي جذبت اليها الحمامة ؟
كانها الشامة على خد الجميل !
خبرني مما نسجت شبكة الحب ؟
كانما هي خصلات تائهة من شعر الحبيب !
هوذا عيد الحب قائم هنا .. والكاس تدور ..
فاشرب من هذه الخمر حتى الثمالة ..
ولا تخشى السكرة من خمر السماء !
ما اسهل ان تشكو وتتنهد !
فالعالم كله يبكي ليخفف من لوعته ..
فهلا اخفيت الملك في قلبك بكبرياء ؟
وتجرعت سم حزنك في الخفاء ؟
انه ها هنا مصدر النور ـ الينبوع السماوي ..
هنا رؤيا البهاء السرمدي ..
ولانت اشد سطوعا من « موسى » لما نزل من الجبل .
وبهاء الله يشع على محياه ..
ولكن خبرني يا «مخفي» اين هو العيد واين هم المعيدون؟
اليس هنا في نفسي يقوم عيد الله ..
في الغرف المحجوبة من قلبي ؟! »

* * *

وفي السجن تكالبت عليها العذابات ، واضطرمت في قلبها الذكريات .. وشملتها الوحدة ، ونكران الناس للجميل .. والحب الضائع .. ومرارة النفس .. ورائحة الدماء التي يسفكها كل يوم ذلك الملك السفاح ـ سليل جنكيز خان وتيمورلنك ـ ومن شاء القدر ان يكون اباها .. الم يقتل من قبل اثنين من اخوته ، ويطرد الثالث من مملكته ، ويزج بوالده شاه جيهان في السجن ، ليعلن نفسه امبراطورا على الهند ؟ ولا يكاد يستقر على « عرش الطاووس » حتى يجرد الجيش الجرار لاخضاع اقاليم الهند الجنوبية بالسيف ، ويطارد زعيمها سيفاجي .. ولا يكف طوال السنين عن القتال والغزو والتدمير حتى يتم له النصر ، ويأسر ملكها ـ ابن سيفاجي ـ ويخرب حصونها ، ويحرق مدائنها ..

ولم تحب الشاعرة القتل والتدمير ، فاتهمها ابوها بممالاة اعدائه .. ونفرت من ذلك الجو المسموم الذي يلفها من كل صوب .. ولم يعد لها عزاء ولا امل بقية حياتها غير ايمانها بربها ، والتسامي بالامها ، والتنفيس عن قلبها باشعارها.. فيحيل هذا ماساتها الى شعر عذب حزين

« الى متى تظل مخفيا ايها القلب المحترق ؟
الم تر كيف ينطلق اللهب ، وكيف يحجب بخار تنهداتك
تجوم السماء ؟
مسوقة بحبي اطوف كما طاف « المجنون » حيث يتساقط
عثير الصحراء على راسه المتعب ..
ومن اجل « ليلاه » يذرف الدمع مدرارا. لا يكف ابدا.
ولكن هل للنفس التي يضيئها الحب ان تخشى العالم
الذي لا يبصر ؟
والذي يردد : « مجنون من يطأ سبل الحب ! »
بينما هو الحكيم السعيد، لان الحب منح عينيه بصيرة جديدة!
انظر يا « مخفي » كيف يطأ الحب القاسي في تعاليه ،
قلوب الناس!
وكيف امسى سيفه احمر اللون من دم العشاق الذي اراقه!»

* * *

وهيهات ان تنسى الشاعرة حبيبها الفقيد :

« ايتها الذراعان الخاملتان !
انكما لم تدللا المحبوب الضائع !
وكان جديرا بكما ان تتحطما ولا تظلان هكذا خاويتين
باردتين عاطلتين الى الابد !
ويا ايتها العينان العديمتا النفع ! انكما لم تريا الحبيب
الغائب طوال هذه السنين !
وكان خيرا لكما ان تصبحا ضريرتين عن ان تكونا هكذا
مظلمتين بدموع لا جدوى منها !. ! »

ولكنها تعود الى التعالي بحزنها ، فتنشد :

« يا ايها القلب الاحمق !
حرت في فهم تهورك !
اتجردت من كل قوة ومن كل ارادة ؟
فلم يعد في مقدورك ان تحطم الحاجز الذي يحول بينك
وبين اليفك ؟
الم تر كيف تنبثق الزهرة المبرعمة ، رائعة في ثوبها
الاخضر المزق ؟
جميلة في الحديقة مثل « يوسف » في حسنه الشاب !

سرت في طريق الحب طويلا، وانحنيت تحت الاعباء الثقيلة
ثم نما قلبي المدان ، واشتد عوده ..
فهيهات للالم ان يحني اليوم روحي !
غسلت قلبي من النزوات والرغبات ..
وتطلعت وحيدة الى السلام ..
كي لا يكون لي يوم الحساب نصيب في النعيم ولا في الجحيم!»

* * *

واخيرا صدر امر اورنجزيب بالافراج عـن ابنته .. وخرجت من السجن لتعيش بدلهي في وحدة وتنسك .. وظلت اشعارها التي نظمتها بعد السجن، مصطبغة بالاسى:

« لماذا تشكين من الصحاب ومن الاعداء ؟
او لم يعبس لك القدر من مبدا الزمن ؟
الا فلتظل اسرار حبك مخفية .
وفي طريق الحب سر وحدك ايها « المخفي » !
ما عدت اليوم في حاجة الى رفيق ..
حتى ولو شاء المسيح ان يصحبك في الطريق !! »

* * *

وفي عام ١٦٨٩ بلغت زيبا النسا الخمسين من عمرها.. ومرضت اسبوعا واحدا ثم فاضت بعده روحها .

ودفنت في حديقة « نواكوت » على مقربة من « لاهور » — كمـا اوصت !

وشيدوا لها قبرا من المرمر تعلوه قبة ذات طرف من ذهب

وعاش ابوها بعد موتها ثمانية عشر عاما .

وفي يوم من عام ١٧٠٧ وكان اورنجزيب في خيمتـه الواسعة الشبيهة بقصر اتخمه الترف والبذخ والنعيم ، وملاه الحرس والخدم والجواري الحسان — في معسكره بمدينة احمد نوجور اذا به يمرض ويتلـوى ويحتضر .. وقد تراءت لعينيه اشباح المظالم والمذابح والحرائـق .. فراح يرسل صيحات الرعب واليأس وتأنيب الضمير .. وتقلص وجهه الصارم العبوس ، وضاق صدره الذي لـم يدخر عاطفة كريمة .. ثم مات ..

وبموته بدات تتفكك الامبراطورية الهنديـة الضخمة ، التي ظل يحافظ عليها بالسيف والارهاب ، ويوسع اطرافها بالغزو والدسائس ، وتتدهور ، وتنشب فيها الثورات ..

وخلفه عدد من الملوك الضعاف ، حتى زحف عليهـم نادر شاه من ايران ، واعمل في دلهـي النهب والسـلب ، وعاث فيها حرقا وذبحا وتخريبا ..

ولقد اصاب ضريح الشاعرة ما اصاب غيره مـن آثار المغول في تلك الايام العاصفة التي اعقبت انحلال الامبراطورية المغولية في الهند ، وانتهت بسيطرة الانجليز .

والقبر اليوم متفرد متنسك مهجور .. ولم يزل بابه الكبير قائما يتسع لبدخله فيل عليه هودج .. وما زال يرى في الداخل برج ذو مآذن اربع ، مسقف بالآجر الاصفر والفيـروز ..

واختفت الحديقة الزاهرة ، ويستدل عليها الان من بقايا اسوارها التي ترتفع من حقول القمح المتموج ..

اما الحديقة التي غرستها الشاعرة بمدينة لاهور ،وكانت مسرح شبابها وحبها واحلامها وكانت تسمى: «تشو برجي» — اي ذات الابراج الاربعة — فقد اندثرت ايضا .. ويمكن الاهتداء اليها اليوم من بقايا الاسوار والابواب الباقية ، ومن ابراج ثلاثة ما برحت قائمة فوق الباب الكبير، مزدانة بقرميد عليه رسوم لاشجار السرو وبعض الازهار . وعلى الابواب كتابات عربية وفارسية ، بينها عبارة تشير الى ان الشاعرة اهدت حديقتها الى معلمتها العجوز « مياباي » .

* * *

وفي عام ١٧٢٤ وكان قد مضى على وفاة الشاعرة خمس وثلاثون سنة ، بحث بعض الادباء عن اشعارها المبعثرة ، وجمعوها في مجلد باسم : « ديوان المخفي » ، مشتملا على اربعمائة واحدى وعشرين قصيدة ومقطوعة وبينها عـدد وافر من الرباعيات ..

ثم اضيف اليه عام ١٧٣٠ ما عثروا عليه من غزليـات آخرى للشاعرة ..

وظهرت نسخ كثيرة من مخطوطات الديوان في الهنـد وايران .. وكانت بينها نماذج ممتازة من ديوانها المخطوط يحتفظ به بعض محبيها ..

واخيرا ترجم خمسون من قصائدها الغزلية والصوفية ، من الفارسية الى الانجليزية نظما .. وقام بهذه الترجمة كل من « ماجان لال » والشاعرة «جسي دنكان وستبرولد» وطبع الديوان بلندن عام ١٩١٣ في سلسلة :«حكمة المشرق» .

وانتشر « ديوان المخفي » في الهند وايران .. ولـه هناك معذروه ، وكثيرا ما تنشد منظوماته في الاجتماعات الدينية ، وفي اعياد المتصوفة .

رمل الاسكندرية — **نقولا يوسف**

شبح

لمحـت شبحـا مـن نور
فحولت وجهي عنـه شطر الظـلام
لكي لا يصـادف نظره نظري الحزين
فيروعه المنظر ... ويصدعني ويغيب
لبثـت مكـاني
معلقـا طرفـي بالظـلام علـه يرانـي
فيعطف على نفسي الحزينة وقلبي الكسير
وما لبثت طويلا حتى رايت ذلك النـور
داخلا الى كوخي مشرقا في قلبي وروحي

حلب — **ابراهيم مجاهد الجزائري**

امي والغربة والبحار

من ديوان «المزامير الضياع » المعد للطبع

محمود السيد

دمشــــق

•

من أدمــع امي تغزل شمس
تغتسل .. تعرى اصباح
يـا مـلاح ...
عيناها تقتنص المجهول .. المغلق
تبحث عني
يأكلها من بعدي اليأس
بالحب تؤرق .. بالحزن
ويجف العرس .. الافراح
وصقيع يلتهم الزنبق

من ادمع امي مركبة خضراء
ترود بهـا الدنا
وعوالم لم تعرف بعد
لم تخطر فى بال الرؤيا
نغمزها .. ينفتح الرصد
يقترب الراحل .. والبعد
.. تمتد رواسي الواهي .. الرهو
بوسادة قلب يورق حبا
يرضع ارض بلادي الخصبا
يثقل بالخمر دواليها
يجدل شعر النجم الازرق
ارجوحة عشاق سمر
وبساط ربيع ورديا
يرتاح لوشوشة الزهر
تسهر سمع .. لفجر
ولبعض حكايا ماضينا
« للاوف » السكرى .. و « ليا »
من ادمع امي مرآة ،
تستمرىء فيها الاجيال
انهار الضوء .. الارمان
يـا ربـان
لا تقلع فى بحر الغربـة
لا يغري شراعك ترحال
فبلادي طيبة .. خصبة
يعشقها القمح .. الرمان

[illegible]
[illegible]
للدموع عمانا الكار
عمدن بمعبد نوار
ولهفة امي تنتظر
وتكثف روح الرقـات
الماضي منها والآني
فى لحظة لقيا .. فى رغبة
يورق قحل .. يمطر صخر
يجدد فيها العمر .. العمر

من ادمع امي تلتثم الالام ،
الجرح الفوار
ويغمغم بالحرف الصمت
يبرا ابرص .. يخلع ميت
يـا بحـار
اما تقلع ...

اما ترسو فى ميناء
ستشرد دون الابواب
وبلا حب .. وبلا ماء
ستدور .. ندور ولا ندري !
معنى الاصوات ، الاصداء
معنى ان نجري ولا نجري
كيباب نمضي كيباب
وعلينا وشم الغرباء
وشم يفزع
يررقنا بالسام المفجع
يـا بحـار
ستجوع ، نعرى ، تحترق
وستسدل .. تعبس استار
وتغوص .. تهاجر اقمار
ويصيح بنا الدرب .. الشوق
ــ لا جرة ماء مقروره
يفتر لها حر الصيف
لا كوخا يفرح بالضيف
لا اما عينيها صلبت فى المنعطف
تسمع همس الخطو المخفي
رعشات اللقيا .. المنتظره
تسأل هل عاد البحار ؟
يـا سمـار
هل طل شراع ذو ندبه
يجلده مجداف الغربه
ليكحل جفنيه التربه ،
الوطن الاخضر .. رغم الجدب
رغم اليبس
رغم الجوع ، القدر ، التعب
رغم الغربان ، البوم ، الحرب
رغم الرعب
.. للوطن الضاحك للشمس
للارض الطيبة .. الرحبة
هل طل شراع ، بحار ؟
يـا سمـار ..

خيل اليه ان المسألة ستمر بسلام ، ان اقتراب زوجته من احد الابواب لن يعني سوى طلب عمل ما . ولكنه، عندما فتح الباب الذي طرقته ،واطل منه وجه رجل طافحا بالبثور ، ايقن بان الموقف لا يوحي بالاطمئنان الى المستقبل .

وانتظر على مقربة من الباب الذي يتصدر البناء في اول الشارع ، حتى انتهت زوجته من حديثها مع الرجل وعادت اليه . تردد قليلا قبل ان يقول لها :

ـ في رايي ، يا سعدة ، انتستغني عن خطتنا . ولنعد الى القرية فقد اوفق في ايجاد عمل يناسب قوتي .

وقطع كلامه وراح يتطلع الى الدهشة التي ارتسمت فيعيني زوجته بعد قضاء اسبوع كامل في المدينة بحثا عن عمل . واضاف :

ـ تعلمين بان الموقف ليس هينا بالنسبة الي . لقد كان وجه الرجل كريها ومقرفا ولاحظت في عينيه وهو يتفحص وجهك ثم قامتك شوقا الى امراة ، اية امراة تلتقي بها .

لم تدعه يكمل كلامه . قالت :

ـ سابدا عملي لديه منذ الصباح . واما القرية فلن نعود اليها . ومتى تتغلب على اوجاع صدرك وتعثر على عمل ، اترك لك عبء اعالتنا .

وكان عليه ان يتراجع امام تشبث سعده ، قال :

ـ كما تريدين .

واحس بان الظروف قد هزمته تماما .

ومدت سعده ذراعيها نحوه ، وتناولت منه طفلها الصغير ، وشدته الى صدرها وهي تقول :

ـ سأترك لك امر العناية بحمزه، وفي المساء عندما نلتقي نتحدث عن شؤوننا .

وانهت كلامها بلهجة هادئةمحببة . قال :

ـ علينا ، اذن ، ان نعثر على غرفة وتمتم :

ـ وعندما يكبر حمزه لنيعرف انه من مواليد قرية نائية طرده الفقر منها وهو في الثانية من عمره .

وتفحص قسمات وجهه الدقيق واضاف بصوت مسموع :

ـ ترى هل نجني عليه ؟

اكتفت سعده بان مدت يدها ودفعته بها لمتابعة السير :

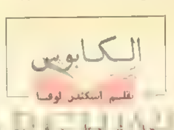
ـ سيكون اسعد منا . ثق بهذا .

وقفز امامعينيهوجه الرحلطافحا بالبثور . والتمعت عيناه جائعتين الى لحوم النساء . قال :

ـ لست واثقا كل الثقة . لكنني ارجو ذلك .

وسارا جنبا الى جنب في الطريق الخالية من السابلة .

الح ، من جديد ، وجه الرجل



[illegible] ما اذا كان بحاجة الى خادم

ـ لم يكن اول رجل وقعت عيناه عليك . لقد رفضوا جميعا. ما الذي دعاه الى القبول وحده ؟

وعطف الى عباراته المبطنة بالشك. حاول ان يوضح موقفه ، الا انها سبقته الى الكلام :

ـ لانهم لم يكونوا بحاجة الى خادم . وهذا خلاف ما هم عليه .

سكت قليلا ثم اضاف :

ـ وهل تظنين انه حقا بحاجة الى خادم ؟

عقدت سعده جبينها . وتراءى لها ما يخشاه زوجها بوضوح اكثر . قالت متجاهلة الظنون :



ـ اظن ذلك .

واردفت قائلة :

ـ واذا تبين لي عكس ذلك لن ابقى داخل البيت دقيقة واحدة .

شجعه كلامها على متابعة الحديث.

ـ وهل تناهت اليك اصوات من الداخل ؟ نساء مثلا ؟ زوجته . . امه . . ابنته ؟!

لم تستطع ان تجزمفي ذلك . كانت مهتمه بالعمل .

قال :

ـ تعلمينانا ينبغيعلينا انيرفض لقمة الخبز الملوثة .

ووجدت سعده نفسها تؤكد له :

ـ انك محق . لن افرط بالرباط المقدس الذي بيننا .

فملأ صدره بالهواء .

*

عندما توارت سعده خلف الباب ، لم يبرح مكانه . بقي مستندا الى الجدار وبين ذراعيه ابنه . صورة الرجل الدميم لا تبرح مخيلته.عيناه الجائعتان الى لحوم النساء مغروستان في عيني سعده . تتشبثان برقبتها ، بصدرها ، بشفتيها ، ثم تستقران فوق ردفيها .

الصورة مطبوعةامام ناظريهجيدا. والرجل الدميم ذو الوجه الطافح بالبثور يتفحص بكثير من الدقةقامة سعده وهي تخطر في ارجاء البيت وتنحني لتمسح ارضه . ويزداد تشبثا بمكانه قرب الباب .

تنحنح حمزه بين ذراعيه فقلبه الى الجهه المعاكسة لوضعه الاول . ومسح قسمات وجهه الدقيقبحنان نظراته .عينا حمزه تتفحصانوجهه. لاول مرة يكتشف ان لونهما جميل للغاية . .

واما عينا ذلك الرجل ، فانهما تلاحقان سعده في الصالون ،والمطبخ، وفي غرفة النوم . الجوع الى لحوم النساء ما زالمرتسما فيهما . الجوع يعلنعن نفسه منخلال نظراتهالملتهبة

اقترب من الباب وراح يبحث عن ثقب ما في محاولة يائسة لمراقبة ماذا

يدور خلفه ..

الرجل يحاول اقتناص الخادم بوسيلة بارعة . يبدا بان يقنعها بانه انسان طيب لا غبار عليه . وكأنه يسمعه يناديها :

ــ سعده ..

وتقترب سعده منه وتلاحظ جيدا انه ذو ساق من خشب .

ويرخي عصاه على المقعد المجاور :

ــ هل تحسبين نفرابي ؟

تجيبه سعده ببداهه :

ــ ليس فيهما ما يخيف الاخرين

ويمضي الحوار بينهما :

ــ كنت احسبك تخافيها ..

ــ انت انسان وديع يا سيدي .. ولا اظن انك حاولت الاساءة الى احد قبل الان !

ــ انك ذكية يا سعده . تحاولين كسب الجولة !!

ــ هل تسمح لي بمتابعة عملي يا سيدي ؟

ــ اقتربي مني يا سعده . العمل لا ينتهي ولا ينتهي العمل ..

ــ ماذا لديك لتقوله يا سيدي ؟

ــ انك جميلة .. وشهية ..

ويغرس عينيه الوحشيتين في عينيها محاولا سلب ارادتها. وتخفض سعده اجفانها من الخوف والحياء .

ــ هل انت متزوجة ؟

ــ منذ ثلاث سنوات .

ــ وهل لديك اطفال ؟

ــ اجل . عندي صبي عمره سنتان

ــ اسمه ؟

ــ حمزه .

ــ اين هو الان ؟

ــ مع ابيه .

ــ هل افهم من كلامك ان زوجك عاطل عن العمل .

ــ اجل يا سيدي .

ــ وما هو السبب ؟

ــ وقع في بئر وكسرت عدة عظام في صدره . العمل الذي يقوى عليه لا يجده .

ــ ولماذا لا تحضري حمزه معك وتدعي اباه يرتاح ؟

ــ اذا احضرته اعاقني عن اداء واجباتي .

يضحك الرجل ذو الوجه الطافح بالبثور وتهتز كتفاه وهو يميل الى الوراء .

ــ سوف تقابلك اوقات فراغ كثيرة

ــ لا اظن يا سيدي ..

ــ وكيف عرفت ؟

ــ العمل لا ينتهي . قلت ذلك بنفسك منذ قليل !!

ــ اظنك تعنين ، كما عنيت ،بانك ستقضين بعض اوقاتك معي هنا .

ويشير الى ساقه الخشبية الممدودة تتراجع سعده الى الوراء عدة خطوات :

ــ اذا حاولت الاعتداء علي او الاقتراب مني صرخت ..

ــ الم اقل لك انك تخافين مني ؟ المراة التي عملت لدي قبلك صرحت بذلك منذ اول لحظه . وكذلك المراه التي سبقتها . والتي سبقت هذه ايضا . ولكنك كنت اشجعهن !!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

انك امراه طيبه وذكيه .

تتراجع سعده الى الوراء عدة خطوات اخرى :

ــ ساصرخ اذا لمستني . سانادي زوجي .

ولكن الرجل ذو الوجه المقرف لا يعبا بوعيدها . يزداد اقترابا منها وهو يضغط على اسنانه ويطرق عصاه على الجدار القريب منه :

ــ اذا صرخت فسك . كوني عاقلة واطمئني الي !

ويصرخ الجوع في عينيه ..

ويرمي بقدمه المشوهة الى الامام خطوة ، ويلتهب صدره باللهاث :

ــ ساعطيك ما تريدين ..

*

لماذا يبقى واقفا في ارضه كالمهزوم؟ لو ان أي زوج كان في وضعه لتقدم من الباب وحطم دفتيه ودافع ، كالرجال ، عن شرفه .

ولكنه اكتفى بالضغط على الجرس

فتح الباب ، واطل عليه وجه سعده . وجهها ينم عن هدوء . امتلا ندما على ما فعل . حاول ان يقول شيئا ، اي شيء يبرر به موقفه ، ولكن جاءه صوت الرجل من الداخل فاسكته :

ــ من تحدثين يا سعده ؟

حولت سعده راسها الى الخلف :

ــ انه زوجي جاء يطمئني عن حمزه

وينطلق صوت من الداخل قوي النبرات :

ــ اذن هو جاء في موعده !

واذا به امام الرجل وجها لوجه :

ــ انت زوج سعده ؟

لهجته صارمة ولكنها توحي ، الى حد ما ، بالثقة . اجاب :

نعم .

ــ حدثتني سعده عنك . تريد عملا لا يتطلب منك مشقة ؟

ــ اجل يا سيدي !

وانتقلت عينا الرجل ذي الساق الخشبية الى ذراعيه :

ــ وهذا هو حمزه ولدكما .

ــ هذا صحيح .

ــ حدثتني سعده عنه ايضا !

وتمنى من اعماقه ان يعتقه . انه لا يستطيع مواصلة النظر الى وجهه الدميم الطافح بالبثور .

حاولت سعده انقاذ الموقف :

ــ طلب السيد مقابلتك من اجل عمل لديه ..

لم يصدق سمعه حتى سمع الرجل يقول :

ــ سوف تعني بحديقة البيت . اعتبر نفسك منذ الان على راس عملك

وغاب في احدى الغرف القريبة وهو يردد :

ــ اسمعي .

عندما تقابلا . لاحظ ان وجه الرجل لم يكن كريها جدا . كما لاحظ ان قدميه كانتا سليمتين وانه لم يكن يستخدم العصا التي تخيلها.

دمشق اسكندر لوقا

من سيدة

الى مصارع ثيران

هذه القصيدة هي تجربة شعورية لمسها الشاعر عندما كان في اسبانيا ، بطلتها سيدة امريكية ، سكنت اسبانيا من اجل مصارع ثيران ، ساق القدر الشاعر ، ليتعرف اليها اذ كانت تسكن في نفس الفندق الذي نزل به في برشلونة .

•

حـارث الوفـي

•

بغــــداد

فسفور ساقي كله اليك
ان انت القيت الرداء من يديك
وعـــدت يا صديقي القديم ،
تنقط الحليب في دمي ..
وتزرع الاطفال يوما تحت محزمي ...

شوقي خليج بحره الحرمان ..
يكرعه التفكير كــل آن
وانت يا صديقي الملون الانسـان ،
تلـــوك في ..
حلوى من الاسمنت والزجاج
وتبصق المجــد على امواجه ..
الصغيـــرة الامـــواج
مجــدا يسيل من دماء كل ثور
خائر الايمـــان

يريدنا بمـــوت من هواه
واذرعي تحيا على ذكراه
وخاتمي باصبعي يبكي على ..
حبـــك في صبـــاه
[illegible] باح وصاح : آه
[illegible] العرس
[illegible] لحسب
[illegible] الامواب
[illegible] الكريهة الجهات
ونقدم [illegible] من سحابة يعصرها سماه

اغفاءة الالوان والجليد
تعبد للقريب والبعيد ، ما تعيد ؟
احلام بنت حجرت آهاتها الرقاق
وعافت العشاق والرفاق
وذاقت الاشواق لم طعم ،
فارغ المذاق
وقدست في قلبها حبا ، غريرا ،
ارعنا بليد

يا احمر الجلباب يا مصارع الثيران
يا احمر العيون يا مصارع الثيران
يا احمر الاشواق يا مصارع الثيران
فسفور ساقي كله اليك
ان انت القيت الرداء من يديك
وعدت يا صديقي القديم
تنقط الحليب في دمي
وتزرع الانسان بالانسان

فوزي المعلوف والعصبة الاندلسية

بقلم نظير زيتون

في تموز المنصرم (١٩٦٠) تلقيت من رفيق لي في العصبة الاندلسية — سقى الله ذكراها [illegible] — مقيم في سان باولو البرازيل، قصاصة من جريدة [illegible] السورية، نشر في صفحتها الادبية مقالا [illegible] للاستاذ حليل باز بعنوان «فوزي المعلوف شاعر الانطلاق والحرية والخلود» تتلوه عناوين اخرى منها هذا العنوان «امات فوزي المعلوف فشلت حركة العصبة [illegible] بعده» ..

[illegible] قراءة المقال [illegible] المغترب المتحمس [illegible] الكتاب [illegible] التاريخ [illegible] عندما قال ان وفاة فوزي المعلوف رحمه الله، شلت حركة العصبة، وكل ما في الامر ان الاستاذ حليل باز يجهل تاريخ فوزي، كما يجهل تاريخ العصبة [illegible] يتعلق باعضائها ومجلتها واعمالها.

ولكي [illegible] في سان باولو [illegible] يقول لي [illegible] القصاصة [illegible] لبعض ما [illegible] من اخطاء [illegible] الذي نافحت ودافعت عن الادب المهجري [illegible] احد [illegible].

وامام هذا الالحاح [illegible] العوامض وتصحيحا للاخطاء التاريخية التي [illegible] عليها [illegible] مما لا يجوز السكوت عنه. والا [illegible] الحظ [illegible] شاع الاستنتاج [illegible] المرحوم فوزي المعلوف احسن الله اليه، هو الذي [illegible] العصبة الاندلسية وهو الذي كان روحها وجسدها، وزادها وموردها. ولكن ما [illegible] روحه الطاهرة حتى [illegible] معها روح العصبة الاندلسية ودارت عليها الدائرة. واذا هي هدف الانتقادات [illegible]. وفي هذا من الحيف على العصبة ما يأباه الحق والانصاف والتاريخ.

واعتب [illegible] الامر على الكاتب [illegible] فوزي المعلوف ومستقبل المعلوف. وهو [illegible] رحمه الله [illegible]. واعتب [illegible] لاموس المنتدى الزحلي والعصبة الاندلسية [illegible] في بث الاخطاء عن [illegible] وكان باستطاعته ان يحتنبها، او حقق وراجع احد المصادر المهجرية ككتاب جورج صيدح «ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية» او سواه من المراجع الاخرى. فالمغفور له فوزي المعلوف توفي في السنة ١٩٣٠ وكتب

اول من رثاه بين كتاب المهجر، على صفحات جريدة فتى لبنان اليومية التي كان يصدرها العلامة اسعد رشيد عطية، وقد توليت تحريرها نحو عشرين سنة، وتناقلت الرثاء صحف شتى كما اثبته العلامة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف والد فوزي في كتابه (ذكرى فوزي المعلوف).

كانت حياة فوزي المهجرية قصيرة لا تجاوز عشر سنوات بيد انها اتسمت بالخصب والجودة، في الميدانين الادبي والاجتماعي فما كاد يصل الى سان باولو حتى جمع صفوف الزحليين واسس لهم منتداهم الادبي الاجتماعي على غرار المنتدى الحمصي. ودشن المنتدى الزحلي اعماله الادبية [illegible] مسرحية «[illegible]» [illegible] فوزي نفسه كما اشترك في التمثيل ايضا، وكان لهذه المسرحية الرائعة وقعها العميق في النفوس. وقد دفعني [illegible] بهذه [illegible] روحها [illegible] مؤلفها. ولا [illegible] هذا المنتدى [illegible] الاجتماعي [illegible] مؤسسه [illegible] فوزي المعلوف الذي [illegible] في صدر [illegible] كبير [illegible] هذا البيت الخالد

ان لم نكن كلنا في اصلنا عربا

[illegible]

[illegible] العربية.

[illegible] الردود [illegible]

[illegible]

[illegible] للدلالة على مكانة فوزي الرفيعة [illegible] الادب العربي [illegible]

[illegible] من الكسب والاجرام [illegible]

[illegible] بل نابع انطلاقاته [illegible] وانما يحتج [illegible] من [illegible] وهرم من اهرامه.

وكقوله في مكان آخر [illegible] الدوحة المعلوفية [illegible] المدلى [illegible] هذه الارض [illegible] وداعيه وروحا «وهذا الوصف [illegible] من [illegible] المعلوفيين [illegible] وفوزي رحمه الله [illegible] من هؤلاء. وان كان في [illegible] اصيلا [illegible] عميق الفكرة الانسانية مرهف الاحاسيس رائع الخيال

ويقول الاستاذ باز «ان ملحمة فوزي الخالدة — على بساط الريح — ترجمت الى عشرين لسانا حيا» والذي نعلمه انها ترجمت الى [illegible] الاسبانية والبرتغالية. ولكنا نرجو ان تترجم في المستقبل الى لغات اخرى. وقد تكون ترجمت [illegible] الى الفرنسية عن طريق الطلاب [illegible] اتخذوها موضوعا لرسائلهم في الصفوف العليا.

وعندنا انه يكفي [illegible] فوزي المعلوف [illegible] العبقري [illegible] المحلق، ان نعرف ان عددا كبيرا من الطلاب في المدارس العليا والجامعات دارت اطاريحهم ورسائلهم



فوزي المعلوف !

للفوز بالشهادة حول « بساط الريح » وهذا المجد الادبي لم يفز بمثله ايليا ابو ماضي ولا الشاعر القروي ولا شفيق المعلوف ، ولا جورج صيدح ، ولا نسيب عريضة ، ولا فرحات او سواهم من فحول الشعراء المهجريين .

ومن روائع مبالغات الكاتب قوله « ويسبح الشاعر (اي فوزي) في بحور الكنوز فيثب نحو الجوهر المكنون ويقتحم لينشله . وتترآى وتتضح اسرار الكون الخفية ، وحقائق يعجز العلم عن الوصول اليها ، فتكشفها قوافي ابياته ويجلي يراعه كنه غموضها » .

وفوزي ، احسن الله اليه ، لو سمع هذا الوصف حيا لاستغفر ربه ، فمن هو الشاعر الذي تكشفت لـه اسرار الكون الخفية ؟ ومن هو الشاعر الذي استجلى حقائق يعجز العلم عن الوصول اليها ؟ قد يتاح لبعض الشعراء ان تلتمع في خيالهم ومضات روحية وفكرية وفلسفية ورؤى تقرب من اشراقات النبوءة ، ولكن مضاتهم ورؤاهم لا تعدو شاطىء الاسرار الكونية الخفية مهما اقتحمت من مجاهل ، ثم ان حقائق العلم التي هي نتيجة التجارب والدراسات العميقة والعميبة ، تختلف كل الاختلاف عن الشعر الـذي هو نتيجة الانفعالات النفسية والتاملات الذهنية والانطلاقات الروحية مسبوكة في قالب من الفن والموسيقى ، وهـذا يعني ان ما يفتح على العالم لا يفتح على الشاعر مهما بلغ شانه . وما يفتح على الشاعر لا يفتح على العالم مهما اتسع عقله . لكل منهما ميدانه . والميدانان غير متجاورين ، بل متباعدان اشد التباعد ..

فالشعر طار بدانتي فابدع في « الملهاة الالهية » كل الابداع ووصف لنا السماء والجحيم كما تخيلها او كما رسخ في ذهنه بعد الدرس ، ولكن بصره الحي لم يقع عليها ، ولا يده لمست شيئا منها .

وطار الشعر بفوزي المعلوف فطاف بخياله في الفضاء وارتاد النجوم وحادثها وعاد حاملا ملحمته البديعة « على بساط الريح » ولكنه لم يرتفع عن سطح الغبراء ، بل صور ما فاض في نفسه من انفعالات وتاملات سلبية وايجابية ، في شعر يقطر شهدا .

والعلم ، طار بغاغارين الروسي فدار بصاروخه في الفضاء حول الارض منطادا في اعالي السماء ، وراى راي عينه ما لا تراه عين الشاعر المحلق ، في خياله المتالق ، ثم عـاد بصاروخه الى الارض وهو الغازي المتفوق ..

فاي مهما كشف عن شيء من اسرار الكون ، اهـو الشاعر ام العالم ؟ العالم حتما ، لا الشاعر الـذي وقـف مدهوشا مشدوها امام فتوحات العقل البشري العملاق ، في السبع الطباق ..

شغفنا بحب فوزي المعلوف انقى الحب ، ونعجب بمواهبه اشد الاعجاب ، ولكن هذا الحب وهذا الاعجاب لا يسوغان لنا ان نشوه صورتـه الجميلة بالاسراف في الاوصاف ، وفي الاسراف اجحاف لا انصاف .

* * *

قلنا انه التبس الامر على الاستاذ باز بين المرحومين فوزي المعلوف وخاله ميشال المعلوف عميد العصبة الاندلسية ، فقال « وآثر ــ اي فوزي ــ ان يضم جسده وادي زحلـه مصدر وحيه وغيث الهامه . فلعل نسيم واديهـا الرطب ينعشه الى الابد وتنفلت روحه حرة طليقة تجوب كل دنيا تاقت اليها » .

والصحيح ان فوزي المعلوف توفاه الله في ريو دي جانيرو ودفن بسان باولو في ضريح فخم تجلت فيه آيات الجمـال الفني والمعاني الرمزية . وبعد وفاته احيت النزالة بمختلف هيئاتها ذكراه بحفلة اكرامية رائعة ، ثم بتمثال نصفي مـن الشبه او البرونز نصبوه على ضفاف البردوني في مدخـل الوادي .

اما المتوفي في زحله والمدفون فيها فهو المغفور له ميشال المعلوف ، وكان قد غادر البرازيل الى الوطن قبيل الحرب العالمية الثانية ، وما مضت بضع سنوات حتى وافته المنية مبكيا علـى خلقـه وادبه المتالق وقـد اقمنا له نحـن

رفقة اعضاء العصبة الاندلسية في سان باولو حفنة تراب تصفحت بعبق ذكره ، وازدهرت سماء صافية ومرادا . وعشنا بدنيه وبلاده ، فاذا اسعفنا نفحة من سنده ، واسر زهر من ربده ، وكل الحرف الباكي احنو اكليلا من اجنحة ضفرناه ، في اطار من الوفاء صففناه .

* * *

ولننتقل الان الى العصبة الاندلسية يقول الاستاذ بشار في مقالته « العصبة الاندلسية بحمد نشاطها وشب حركة اعضائها واطلقت سعيها ومشت مع نوري نضارتها وعاشت بهجة لياليها الحافلة ، وتوقف نشاطها وجف ينبوعها الدافق المعطاء ، فمن الذي يدير امورها بعد نوري ، ومن يتحمل اعباء مسؤولياتها الجسام غيره . ومن يكون صاحب الحق والربط سواه . فقد عاشت هذه الرابطة سنين طويلة من عمر الزمن وكان من اشهر اعضائها حبيب مسعود وعقل وشكرالله الجر ، ورشيد الخوري الشاعر القروي ويوسف ؟ حسون المعلوف وشفيق المعلوف شاعر عبقر وشقيق نوري وغيرهم .. لكنها تضاءلت رويدا رويدا حتى انفرط عقدها وتشتت اعضاؤها .. الخ »

والناس في هذا الحكم الجائر . [illegible] والحيف عمر . والحماس هدر [illegible] العصبة الاندلسية واعضائها ، [illegible] ري كيف سولت للاستاذ حمل نار [illegible] ي ادبهم وتضع من قدرهم وتصورهم عيالا [illegible] الادبية كصغار شاعرين وتنسيهم [illegible] البارزون ، والاعلام المتجردون المتضلعون

ونحن اذا اغتفرنا للكاتب اخطاءه [illegible] ل اخطاءه الادبية التي تورط فيها ؟

واذا كان نوري المعلوف قد توفي في ١٩٣٠ كما ذكرت آنفا ، فكيف انطفأت شعلة العصبة الاندلسية وجف ينبوعها وهي التي [illegible] في ١٩٣٢ اي بعد وفاة نوري [illegible] هذه النقطة التاريخية تكفي لنقض كل ما رواه الكاتب وبناه حول العصبة الاندلسية ونوري المعلوف . ان كل ما بناه الكاتب واحكم [illegible] في هذا الصدد ينهار انهيارا طبيعيا من اساسه الى ذروته . ومن قبته وجدرانه الى [illegible] وطلائه . فلا يبقى اي ظل لهيكله وجوهره . فهو ادب هو في لغو ، وكبو في كبو ..

اما [illegible] العصبة الاندلسية فيعود الفضل فيه الى الشاعر شكرالله الجر ، وكان يصدر آنذاك مجلته الاندلس الجديدة فهو صاحب الفكرة وهو الساعي الى تنفيذها ولكنه لم يشترك في عضوية العصبة استبعادا لسائر الصحافيين ، وكان لموجه [illegible] المعلوف وهو الذي جمع بين الادب والنشب فضل رعاية العصبة ، وقد القيت على عاتقه رئاستها [illegible] الا بعد الحاح [illegible] ، وقد استمرت هذه الرئاسة الى ان لبى دعوة ربه في رحلة . اذكر من

مؤسسيها الراحلين ميشال المعلوف وعقل الجر و[illegible] سليم سعد ويوسف البعيني وحسني غراب وسلمان [illegible] ، ومن مؤسسيها الاحياء شفيق المعلوف وجورج حسون المعلوف ، [illegible] كما ذكر الكاتب خطأ وحبيب مسعود ونصر سمعان وتوفيق داود قربان وهذا انفصل عنها في مراحلها الاولى ، والشاعر القروي وكاتب هذا المقال ، والاثنان الاخيران عادا الى الوطن فاقام الاول في قريته البربارة ، والثاني في مدينة حمص ، على امل الرجوع الى المهجر لقضاء بعض المهمات الادبية والتاريخية والعلمية .*

وقد عاشت العصبة الاندلسية نحو احدى وعشرين سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٥٣ وتولى على رئاستها بعد وفاة عميدها [illegible] رحمه ، الشاعر القروي وشفيق المعلوف وكان له فضل رعاية مجلة العصبة في سنواتها الاخيرة . وهذا يعني انها لم تنته بوفاة عميدها الاول ، كما انحلت الرابطة القلمية في نيويورك بوفاة جبران ، بل تابعت سيرها واستمرت على ادبية رسالتها الادبية الرفيعة التي [illegible] في مجلتها « العصبة » الرصينة الراقية التي كان لها مكان الصدارة في جانب المقتطف لولا [illegible] هذه غلب عليها الطابع العلمي . [illegible] حبيب مسعود ، واشهد في كتابه [illegible] اعضاء العصبة في الدرجة الاولى وفريق [illegible] العربي في الدرجة الثانية ، ولا غلو اذا [illegible] انها كانت ارقى مجلة ادبية عرفتها الضاد في تلك [illegible] لا اظلم الرابطة القلمية اذا وضعنا آثارها [illegible] تفوق الكفة الاخرى آثار العصبة [illegible] رجحت هذه وشالت تلك . وربما كان لعمر الرابطة القصير في المهجر ، وعمر العصبة الاطول ، اثر في رجحان [illegible] اكثر من خمسة عشر مجلدا ضخما ضمت كنوزا فكرية ثمينة هي من انفس ما خلفه المهجر للمكتبة العربية ، وبالتالي للامة العربية ، بل هي خير ما اهداه المغتربون الى بلادهم ، واخلد ما اعطوه للوطن الام .

ويصعب علينا ان نعد ادب العصبة الاندلسية امتدادا لادب الرابطة القلمية [illegible] على غراره . فان لادب كل منهما سماتها وفكرة واتجاهها واسلوبا وصنعة ، واذا كان في ادب الرابطة القلمية غنى انطلاقه وتهاويله ، وحلاوته وطلاوته ، فكيف [illegible] نفاذ اللغة المرموق ، فادب العصبة مضبوط على هذا الغرار ..

فالادب العربي في المهجر البرازيلي ، لم [illegible] بعد وفاة نوري المعلوف ، بل انطلق واشرق ، واسرع وابدع ، وارتفع واتسع وكان [illegible] يوم احتجبت الشموس . وكان [illegible] يوم [illegible] الرؤوس ، وكان [illegible] حتى [illegible] الكؤوس ، وظمئت الاذهان والنفوس ..

ومن كتب العصبة [illegible] رسالتها الادبية الفكرية

---

* [illegible] الاخير الاستاذ نظير زيتون عضوا فيه (الادب)



نظير زيتون

•

لولا انه لم يبق من مؤسسيها وسائر اعضائها في سان باولو سوى اربعة او خمسة ، ولكنهم على انحجاب مجلة العصبة تابعوا منعردين تقديم ذبائح الفكر والقلب في معبد الادب العربي . لقد احبوا الحرف واخلصوا له وتفانوا ، ومـا انصرفوا عنه وهو يغرب بغروبهم ، فصح في ادبهم وفيهم قول الشاعر : والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل . .

ولقد صدق الاستاذ باز في ناحية واخطأ في اخرى حينما قال « وفضل هؤلاء الادباء انهم اسسوا وطنا ثانيا في بـلاد العم سام ورفعوا بيرق لبنان ثان بآدابه وثقافاته وعلومه وجرائده وجالياته ومؤسساته وبين هذه النخبة العظيمـة التي رفعت شأن لبنان هناك ، شاعرنا فوزي م. »

ووجه الخطأ انه اطلق على الاميركتين اي السكسونيـة واللاتينية لقب بلاد العم سام ، بدليل ذكره لفوزي المعلوف الذى كان مقيماً في البرازيل اكبر جمهوريات اميركااللاتينية، في حين ان لقب العم سام مقصور على الولايات المتحـدة الاميركانية وحدها .

واصاب كل الاصابة عندما قال ان هؤلاء الادباء ـ ايادباء الولايات المتحدة وادباء اميركا اللاتينية عموما والبرازيـل خصوصا حملوا لواء لبنان في المهاجر خفاقا مشرقا عليا عليـا . هـذا لا شـك فيـه ولا نقـاش ، كمـا انـه لا ريب ايضا فإن ادباء سورية المهجريين اسهموا في حمل هذا اللواء اللبناني الجميل ، الزاهي الناهي ،حملوه الى جانب اخوانهم ورصفائهم اللبنانيين المثاليين، ففي الرابطةالقلميه النيويوركية ثلاثة اعلام من الادباء السوريين وبالتخصيص من حمص وهم نسيب عريضة وندرة حداد وشقيقه عبد المسيح حداد ، مد الله في حياته ، صاحب جريدة «السائح» المحتجبة وقد كانت جريدة الرابطة القلمية الرسمية .وفي العصبه الاندلسية ثلاثه ايضامن الادباء السوريين وبالتخصيص من حمص ايضا وهم حسني غراب ونصر سمعان ونظير زيتون كاتب هذا المقال يضاف اليهم شاعران حمصيان [illegible] عبد المسيح [illegible] وموسى الحداد . وفي [illegible] جورج صيدح الدمشقي وحامل الرعوية اللبنانية مؤخرا . وفي الارجنتين الياس قنصل وشقيقه زكي قنصل (يبرود) والمرحوم حسني عبد المالك (حمـاه) ويوسف الصارمي صاحب مجلة « المواهب » التي تصدر في بونس ايرس . وفي تشيلي بنديكتو شوحي (حمص) صاحب المؤلفات العربية والاسبانية ومترجم جبران الى لغة سرفنتس .

وهناك عملاق الصحافة العربية البرازيلية موسى كريم صاحب مجلة « الشرق » الشهيرة التي مضى على صدورها اكثر من ثلاثين سنة وقد ترجم جبران وسواه من اعـلام الادباء العرب الى البرتغالية.

[illegible] السوريون وسواهم كثيرون شاركوا اخوانهم [illegible] المهجريين في نشر لواء لبنان ، وكانوامعتزين [illegible] اعيرارهم بمجد سورية ، وبمجد كل بلد عربي [illegible] وسوريه وطنا واحدا [illegible] كما يرون في سائر بلدان العروبة الوطن الاكبر .

هذا ما عن لي ايضاحه وتصويبه نشرته خدمه للحقيقة التاريخية ، وتلافيا لما قد يقع فيه بعض الكتاب الباحثين في الادب العربي المهجري ، من اخطاء تفسد عليهم بحوثهم ودراساتهم وتشوه جمالها ، فتبني مجدا لقوم وتهدم مجدا لاخرين وهيهات ان يشفع حسن النية وشرف القصد في مثل هذه المواقف . ثم قد نعذر كاتبا في المغرب او تونس او الحجاز او بلدان الخليج العربي اذا اخطأ في دراسةالادباء المهجريين،ولكن كيف نعذركاتبا لبنانيا ومعظمهؤلاء لبنانيون وصلة لبنان بالمهاجر والمغتربين اوسع الصلات .

وعلى كل حال اشكر للاستاذ خليل باز كاتب المقال الذي حداني الى هذا التعليق ، ولصديقي ورفيقي في سان باولو الذي الح واستحثني على الدفاع عن العصبة الاندلسيـة واعضائها ، اشكر لهما فضلهما اذ اتاحا لي هذه السانحـة الماتعة التي اعادت الى الذهن ذكريات عذبةهنيئةعزيزة هي اغلى ما املكه من ثمار الكفاح الادبي في المهجر . . .

حمص — نظير زيتون

الاحصنة الاصيلة

* * *

حـار كالدمعة
ذلك الذي تطقطق
على ارصفته اقدام الاغتراب والليل
ذلـك الاكثـر صفـاء
مـن وردة حمراء على رابيه
ايها القلب
يا فردوس الاثم والخطايا
يـا قارورة الشعر والنكات القرمزيه
لا اعـلام لـك
للثيران ذات الجباه المنخفضه مجد الحياه
لحوافر البقر الوحشي لمار الانسـانيه

الجوع حاضنة تفرخ الدقائق والثو[illegible]
السكع سرطان في الدم
وانا اعدو كالارنب المذعور
فدعوني اعدو كالمهر الاصبح في الباديه
دعوا اكتافي تلمع بين الاسنة المحاربه
دعوا شعلة قلبي تضيء العالم ..

وانـا التوى كالافعى الجريح فيالشوارع
واهرب من امام الحوانيت
وباعة التبغ والجوارب
ومن خلال الصمت والمقاعد المهجوره
والتنهدات اليائسة التي تضيع بين الاشجار
المح عينيك اللتين
تألق فيهما
اضواء سفينة مبحره في الليل
فاذكر اني تحت سماء آسيا
تحت هذه اللوحة المدهونة بالخمر والمقابر
حيث في بلد عجوز بـلا ثدي

لمجتمع الحفر والمستنقعات الآسنه
لسـوق الدلالين المغمور بعطر العواهر
تصنع الاكاليل وتحمل المباخر
ايهـا المجوس
اينها الصناديق المحشوة بالتفاهة والجواهر
مـــاذا تعرفون
عن النوم العميق في لطوات العمارات الفخمه
عن معنى اشتهاء حاجة ما
ان ملايين نوافير العطر
لن تقدر على محو روائحكم العفنه

اي مسـاء وحشي ؟!
[illegible] لا حنان ؟!
[illegible] رق تسلكه الروح المتمرده
العصر مقلاع يقذف الحجاره
الــدم يسيـــل
ولا محرمه توضع على الجرح
آه .. يا قلاع البؤس الرهيبه
آه .. يا رماح الياس القاتله
آه .. يا محارم الوداع الحزينه
ان نعاسا حلوا عذبا
يهوم على اجفاني
الساعة تدق الثانيه صباحا
الى اللقاء ايتها الارصفة الحبيبه
انا مثلك في الربيع
في ظلال الحيبة استريح
الجراح احصنتي الاصيله
عليها اسافر وحيدا الى اخر العالم

الياس الفاضل

كان من عادة صديقتي ان ترسل الحديث لتصل به الى فكرة ، احيانا كنت التقط هذه الفكرة واخرى اتحررها بدون جدوى ، وحين جلسنا في ذلك اليوم استهلت صديقتي حديثها قائلة :

ـ كان البحر يمتد بعيدا ، بين ثنايا رورقته نجوم من فضة تلمع وتختفي .. والوقت يتنفس الظهيرة ، ظهيرة حارة رطبة .

ـ

ـ نهضت على سطيحة مطلة على البحر ، البحر المتد بعيدا ، مناضد ملونة ، جمعت حولها افراد ايدخنون ومقاعد خالية .

ـ

ـ من يمين السطيحة : انبطحت مقاعد مستطيلة متجاورة ، استلقت عليها ، نساء اهدابهن مسبلة،اجسامهن حمر .

ـ

ـ تحت اقدام المقاعد المنبطحة . جثت بركة ، رقراقة المياه ، يفصلها عن البحر،حاجز حجري يشبه الجسر

ـ

ـ فجاة تعالت اصوات مرحة ، وتطايرت الى السلم الحجري، السلم المؤدي الى بركة السباحة ، اقدام بضة حافية .

تفتحت من بين اهداب النساء المستلقيات على المقاعد المنبطحة ، نوافذ ضيقة .

واستدارت على السطيحة رؤوس الافراد ، عن النجوم ، نحو السلم ، الى البركة . ونظرت مستطلعة : « انهن طالبات ، عشرات ، كثيرات ، اتين للسباحة » . واغلقت النوافذ الضيقة بين الاهداب المتكاسلة ، واستدارت الرؤوس عائدةمن البركة الى السلم الى نجوم الفضة « انهن طالبات ، عشرات ، كثيرات ، اتين للسباحة » .

ـ

ـ غصت البركة بهن ، قطع ملونة حية ، وتنقل المدرب : بستاني بين ازهار ، ازهار غمرها الندى ..

ـ

ـ بين البركة والبحر ، امتد حاجز حجري ، حاجز يشبه الجسر ، وقعت عليه بينهما لقامته المهدله امراتان ، امراتان بوجه ذابل .

ـ الصبيات في مرح ، صاح المدرب بهن :« الى السباق ، خمسا وراء خمس » فتلاطمت الضحكات وعلا الرذاذ وتضافرت ما بينها ، صيحات الفزع وصيحات النصر ، ودوى التصفيق الحاد، ورنت بعده الفتيات الى المراتين ، منتظرات تاييدهما :

شد الفم على ذاته في كلا الوجهين، منسحبا نحو الخد الضامر ، منقلصا

الغصون اليابسة

بقلم الانسه رينه عبودى

العم شكله الاول ويبرز من جديد غصن رضيع يابس

ـ

ـ الوقت ظهرا

الشمس للجالسين على السطيحة ، نجوم فضة ، وسقف من اعواد القصب يحميهم من الاشعة .

الشمس للمستلقيات باهداب مسبلة، اغفاءة وحلم ، وسمرة لون وصحة .

ـ

ـ الوقت ظهرا

الشمس للمراتين ، اشعة ، اشعة تحترق ثيابهما ، تنخر خيوط النسيج، اشعة ثقيلة مزعجة ، من بين نسيج ثيابهما يتصاعد بخور نتن الرائحة .



ان الاولى تلقي نظرة عجلى على ساعة معصمها، لقد كانت امراةدقيقة الجسم صامرة بوجه ضيق »الاشعه كالثواني ، تقبه « وتتحرك قدمها ، قدمها المغلقة بحذاء صارم الجلد ، راكلة القدم الثانية « الاشعة كالثواني .. كالثواني » .

ـ

ـ المراة الثانيةترمي بكلمةمقتضبة، مشيرة الى البركة ، لقد كانت ضخمه الهيكل فارعةالطول بوجه غيرمتناسق، ترمي كلمتها المقتضبة ولا تنتظر عليها تعقيبا ..

ـ

ـ الوقت يتنفس الظهر ، الذهول طوق المراتين ، انهما على مؤخر الحاجز : شجرتان بدون جذور

ـ

ـ فجاة ، في البركة يسود السكون، تستيقظ المراتان

« تجمع في البركة »

ان الافراد على السطيحة قد نهضوا ، ينظرون

النساء عن يمين السطيحة ،اعتدلن في جلستهن ، يراقبن بعيون واسعة « نقطة امامهن »

ـ تجمع في البركة ـ

اقتربت المراتان،هناك فتاةلا تبدي حراكا ، المدرب يرفعها من الماء ، الماء يقطر من جسدها المددعلى الساعدين، ساعدا المدرب قويتان ، الجسد يقطر ماء .. المدرب يخرج بحمله من البركة ، خطواتهتجتاز الجسر ،واسعة مسرعة ، تلحق به المراتان ، انها «انها رانية مغمى عليها » وتتسابق حوله الصبيات « رانية اغمي عليها » .

المدرب يصل السلم الحجري ، يتوقف ينحني ، واضعا برفق حمله، مسندا اياه على درجاتالسلم ،تمثال بديع ممدد ، الوجه فيه هائم،لا يتكلم

ـ « رانية » اسمها يتردد ويتردد

المدرب يرفع ذراع الفتاة ويعيدها ، يرفعها ويعيدها

الجسم تمثال ، الوجه فيه هائم لا يتكلم . وقف المدرب وانحنى ،

انا شجرة

ما هو سر الريح الذي يهب
على شجرة حياتنا
بين الحين والاخر ،
يلعب باغصانها ووريقاتها
يرشقها بالامطار
يغطي حناياها بالغبار
يحاول ان يحني اغصانها
بل بالاحرى يحاول ان يقتلع جذورها!!
كل انسان
له شجرة خاصة به .
اشعر احيانا
انني اشبه شجرة العشق
في تفتحها ومرحها
اسعتر نصح العمر
لكي امرح واضحك [illegible]
و لنالي تمور .

واحيانا ،
ارى نفسي كشجرة السرو
التي زرعت على قبر
تحيط الكآبة بها
تحاول عظام الموتى ان تسحبها للقبر
وهي ترتفع وترتفع .
كانها مجموعة ارواح
لها اجنحة لامرئيه
تستمد قوتها من الموت والدم
جذورها في الارض ،
واغصانها تتجه للسماء . .

[illegible]
[illegible]

حلب تيماء الناصر

رافعا حمله من جديد ، صاعدا بـه السلم ، مارا بالنساء . . ان الصمت بيبهن مخيم ، ابتعد بحمله الى حيث الغرف هناك، افواج النظرات تلاحقه، افواج الفتيات ، والمرآة الثانية .

—

— ويطول ويطول الوقت ، قبل ان يفتح الباب وتظهر منه الفتاة المغمى عليها ، مستندة الى ساعد المدرب وذراع صديقة لها ، تسير بوهن لا وهي بعده . .

ان امراة [illegible] تخرج من الغرفة بعد [illegible] . [illegible] معها [illegible] الى باب المسبح ، وحين يغادر الثلاثة المكان ، تعود ادراجها ، خطواتها [illegible] . [illegible] . [illegible] .

وما ان تلمح من بعيد المرأة الضخمة [illegible] على الحاجز وقد كانت تراقب الفتيات العائدات الى البركة ، [illegible] ، حتى يتحرك الغصن، فمها، فيتحرك من على الحاجز، الغصن الاخر

—

الفتيات يسبحن بدون حماس ، بدون مرح ، في البركة

النساء غادرن مقاعدهن المريحة وقد غادرهن الحلم

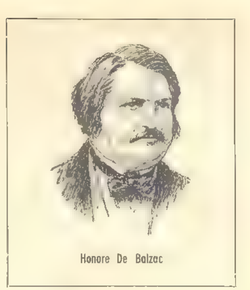
الافراد على السطيحة يتأملون بشرود واسى ثنايا الزرقة

— وعلى الحاجز بعد ان طال وقصر بين المرايين [illegible] . [illegible] . [illegible] . [illegible] المكان [illegible]

—

— وتراكضت في عدوها الثواني ، وانتعش الغصن اليابس

حلب رينه عبودي


Honore De Balzac

بلزاك والمجتمع الانساني

بعلم ملتن كرين

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كان تاريخ الانسان الطبيعي ... الاثير لدى الكتاب الفرنسيين القاصين والدراميين وارباب المقالات على حد سواء . ومنذ البداية يشعر احدنا بان هؤلاء كانوا يرقبون الجنس البشري فيحددون صفاتيه ويصفون مراتبه في جميع مظاهرها متناولين الاشخاص حديثي النعمة والبخلاء والداعرين والناس الريفيين والنساء ذوات الحشمة المتصنعة وغير هاتيك وهؤلاء من البشر .

واشهر سجل قدمته فرنسا في هذا الصدد يتضمن اسماء مونتين وموليير ولابروير وزولا وروماں ورولان ... ولعل اونوريه دي بلزاك هو اشمل الادباء الاجتماعيين اطلاعا واوسعهم وعيا واصالة واطولهم باعا . وقد قدر لمجموعته الهائلة من الروايات والقصص والدراسات ، التي اطلق عليها العنوان الشامل (الكوميديا الانسانية) قدر لها ان تؤدي للمجتمع الانساني ما اداه العالم الطبيعي الفرنسي العظيم بوفون قبل قرابة قرن من عهد بلزاك لمملكة الحيوان بكتابه (التاريخ الطبيعي) . وقد اشار الى هذا التشابه بلزاك نفسه في مقدمته الرائعة الكوميديا الانسانية حين قال :

« في الطبيعة انواع (بشرية) اجتماعية كما فيها انواع حيوانية . فاذا كان بوفون قد تمكن ان يقدم للناس كتابا جليلا يتضمن علم الحيوان باسره افلا يصح القيام بمأثرة من هذا الضرب عن المجتمع (البشري) ؟ ومن الطبيعي ان تكون نطاق هذا المجتمع اوسع آفاقا من نطاق عالم الحيوان . فحين صور بوفون الاسد تصويرا مستفيضا اقتصر على جمل قلائل لما تناول اللبوءة ، بينما ان المرأة في المجتمع ليست دائما انثى الرجل حسب .. ذلك ان الوضعية الاجتماعية تحتضن احداثا لا قبل للطبيعة على احتضانها لانها تتكون من الطبيعة والمجتمع . وعليه فوصف الانواع الاجتماعية هو ضعف وصف الانواع الحيوانية اذا اخذنا بنظر الاعتبار الجنسين (الذكر والانثى) . ثم ان قليلا من الدراما يحدث بين الحيوانات ، كما يندر الاضطراب ، وكل ما هنالك هجوم بعضها على بعضها الاخر . ان الناس يهاجمون بعضهم بعضا ، ولكن الاختلاف بدرجة الذكاء يجعل النضال اكثر تعقدا . واذا لم يعترف قليل من العلماء بفيضان (الحيوانية) على الانسانية بتيار من الحياة عنيف بعد ، فقد يصبح اي من البقالين سيدا من سادات فرنسا ، كما قد ينحدر اي من النبلاء الى درك اجتماعي منحط . ثم ان بوفون وجد الحياة سهلة جدا بين الحيوانات . والحيوان لا يعرف الفنون ولا العلوم ، بينما الانسان ، على حسب القانون الذي ينبغي النظر فيه ، ميال ... تقاليده وافكاره وحياته عرضا فنيا .

وعلى ... ... اعده ينبغي ان يكون ذا اوجه ثلاثة تمثل الرجال والنساء والاشياء ، وبكلمة مختصرة الا... ... يعبرون به عن افكارهم بصورة مادية ، اي ... الحياة ، لان الحياة هي كساؤنا » .

وسواء اتفقنا مع سلامة نظرية بلزاك العلمية ام لا ، ... ... لنا وصفا لا نظير له عن الحياة الفرنسية في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فهو كرولوب في العهد الفكتوري الانجليزي ، وجول رومان في الجمهورية (الفرنسية) الثالثة ، عمل جاهدا على تزويدنا بمعلومات وفيرة عن شخصية الطبقة المتوسطة ، متفوقا بذلك على خيرة المؤرخين والعلماء الاجتماعيين . وهذا الامر قلما يساعدنا على تفسير ما يمتاز به بلزاك من جاذبية مستمرة لدى عامة القراء في طول الارض وعرضها .

ان عظمة بلزاك يمكن توكيدها بيسر اكثر من شرحها . فقد جاهدت عبقريته تحت (ظروف) مشطة هائلة . ويكاد يجمع نقاد بلزاك على عدم اهتمامه باللغة . يقول بهذا الشان ، اميل فاغيه ، الناقد البارز وعضو الاكاديمية الفرنسية «الكل متفقون على ان بلزاك كتب بصورة رديئة . وليس من حاجة لتصحيح الراي العام في هذه القضية . لانه في الواقع كاتب رديء » .

كان بلزاك جامعا عاطفا لكل المعلومات الطريفة ، ولهذا السبب حمل نفسه حملا على تدوينها بغير التفات الى متطلبات عمله الامر الذي جعله يسيء الى الذوق الحديث . وذلك تبعا لما كان يحدثه في القارىء من ردود فعل تمشيا

مع حوادث قصصه وبما كان يشير اليه من مغزى اخلاقي او نتيجة مرتقبة .

ومع ذلك ، فبلزاك يسمو على اخطائه الهينة والكبيرة بما عرف به من قوة ايمان بما يكتب ، وهذا ما لا يحتمله فنان اقل منه موهبة . ويعود ذلك الى ان عبقريته تطغى على كل نواقصه الاخرى .

لقد كتبت سيرة حياة بلزاك مرارا عديدة واحدث هذه السير هي ما كتبه ستيفان زفايج (١٩٤٢) واندريه بيلي (١٩٤٤) . ولد بلزاك فى سنة ١٧٩٩ فى تور وكان ابن موظف مدني غير اسمه من (بالسا) الى (بلزاك) ثم حوله ابنه الى اللقب النبيل (دي بلزاك) . اما طفولته فقد تكدرت بهجران والدته ونبذها له ، وقد تشكى عن تلك الاحوال بمرارة فيما بعد . ولذا فليس غريبا ان يصبح عالة على مدام لور دي بيرني على الرغم من شبابه وكبر عمرها . وقد ظلت هذه المراة خليلته ومرشدته وناقدته حتى نهاية حياتها . واول ما لمع نجمه الادبي فى سنة ١٨٢٩ حين نشر قصته (ليه شوان) . ومنذئذ جمع مالا كثيرا وبذر اكثر مما جمع ، فكان عرضة لمضايقات الدائنين .

ومما يجدر ذكره انه لا مدام دي بيرني ولا مدام هانسكا(١) ولا اية من خليلات بلزاك استطاعت تنظيم حياته وضبط عاداته ومشاريعه الغريبة . ومن ذلك انه كان يتمسك بالنظام الامبراطوري عند العمل ، الذي كان يقارب يوميا الاثنتي عشرة ساعة او ثلاث عشرة ساعة ... غير البيض المسلوق والقهوة .

ولكنه حينما كان ينتهي من عمله ... يحاول ... من الطعام ... القارىء الكريم تصديقها بسهولة ، وقد اشار الى ذلك احد ناشري كتبه)(٢) .

عرفت شخصية بلزاك بفتنتها وجاذبيتها ، يشهد على ذلك كل من عرفه من معاصريه حتى ناشري كتبه الذين كانوا ياسفون لعاداته الغريبة ومماطلته فى دفع المسودات ... وهؤلاء ... ومما تنبغي الاشارة اليه انه كان الصديق الصدوق للعديد من ... ومن اصدقائه ... فكتور هوغو الذي ادلى بصوته مؤيدا قبوله فى الاكاديمية الفرنسية من مجموع صوتين فقط وذلك فى المرتين اللتين تقدم بهما لقبوله عضوا فى الاكاديمية .

ان شعور بلزاك برسالة الادب (المقدسة) وتركيز ذهنه الفريد على فنه يجعلانه يحتل مكانة مرموقة بين عظماء الرومانسيين . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان نتاجه لا يعالج الموضوعات المميزة للفن الرومانسي ، كاعلاء شأن الحب والطبيعة . اما موضوعاته فتتناول الهجاء الكلاسيكي و الكوميديا) من اضراب : البخل والطموح والشهوانية والغرور والنفاق . ان بلزاك لا يعترف بالحب مسيرا للعالم وانما يعترف بالمال . ومن هنا يصعب على وردزورث اعتبار

بلزاك رفيقا له فى مجالات الرومانسية . اما موليير فيعتد به بكل سرور وميلا ملازما له . ثم ان بلزاك يختلف من وجه مهم آخر عن الرومانسيين العظام من امثال شيللي ولامارتين وهاينه ، لانه كان محافظا عنيفا فى السياسة والدين ، معتقدا بان تضامن الكنيسة والدولة ، فى شكل حكومة ذات سلطة شديدة موحدة ، هو وحده الضمان الرادع ضد الميول الفوضوية التي يبديها المجتمع البرجوازي . دع بايرون او كوليردج يسبحان بحمد الثورة الفرنسية ، فان بلزاك الملكي الكاثوليكي ، يعرف ان القمع مهما كان شديدا يهون بالقياس الى الرعب والاضطراب والبلبلة .

وفى سنة ١٨٤٢ ، وضع بلزاك ، مؤلف خمسين رواية ، خطة تتضمن ، شكل ومحوى نتاجه الادبي برمته . وما كانت هذه الخطة سوى (الكوميديا الانسانية) التي كان المفروض فيها ان تحلل المجتمع الفرنسي فى عصره ، على ان تتوزع مؤلفاته المنشورة والتي يتوقع ان يكتبها تحت العناوين السبعة الاتية : مشاهد من الحياة الخاصة بالفرد ، مشاهد من حياة الاقاليم ، مشاهد من الحياة العسكرية ، مشاهد من الحياة الريفية ، مشاهد من الحياة السياسية ، دراسات فلسفية ، دراسات تحليلية . وفي ... الثماني سنوات من اواخر حياته ، اعاد باستمرار ... هذه المراتب ، كما حول كتبه من مجموعة الى اخرى ... ولا ... ص من القول : ان مشروع بلزاك هذا كان اميل ... والتصنع ، فقد فرضه فرضا على كثير ... فكرة مدروسة . ولكنه قد يكون تحسس ... نحو هذا المشروع ، بيد ان طغراته ... تحول دون ... هذا الراي . ثم ان عناوين فصول كتبه تشير الى موضوعية « علمية » شاملة تنتقص من فنيه كتبه كما هي فى الواقع .

وككثير من الفنانين قبله ، كان كاتبا خيرا منه مفكرا ، وربما كان من حسن الحظ ان يفكر بمشروع « الكوميديا الانسانية » فى اواخر حياته العملية ، حين يعجز تكلف العناوين من الوقوف حيال انجازاته الادبية بما امتازت به من اصالة وتلقائية . وهذا ما هو واقع بالقياس الى (اوجيني غرانديه) القصة التي نشرها بلزاك فى سنة ١٨٣٤ قبل ثماني سنين من وضعها بين (مشاهد من حياة الاقاليم) فى « الكوميديا الانسانية » .

ان هذه القصة هي قصيدة ريفية شعبية تمثل فتاة يافعة احبت لاول مرة ، ولكنها اعطيت لرجل لا يمكنه ان يدرك قدرها ، والقصة باجمعها خالية من النواقص التي تميز نتاج بلزاك المتاخر . والدليل على ذلك انها تنحني

---

(١) ... تزوجها بلزاك بعد علاقات وصلات دامت عدة سنوات . ملتن كرين . (٢) من كلام المترجم . (٣) الاستاذ روجرز ... كتابه ... « بلزاك والقصة » . ملتن كرين . (٤) درايزر من ... الكتاب الواقعيين فى الولايات المتحدة فى باكورة العشرين ، وقد ... النظام الاجتماعي ...

احتراما لعلم الاجتماع ، كما ان ثلاثة من فصولها الستة تحمل عناوين يقصد منها معان اجتماعية كبيرة . والنضرب لذلك امثلة) : « وجوه برجوازية » و « الحب في الاقاليم » و «هكذا يسير العالم» . كما يقدم الكتاب شرحا مستفيضا لاتهام بلزاك الاساسي المنصب على المجتمع البرجوازي . على انه مجتمع يسيطر عليه المال .

ان شخصية اوجيني،هي التي تضع،اهداف القصة وتكون شكلها ، اما شخصية ابيها فهي التي تعطيها نكهة ومغزى . واوجيني وحدها تنتقل من الطهارة الى التجربه . على حين يبقى الاخرون دون تطور يـذكر : ان شارل الشاب الجميل ، احد الاقارب . شاب مفسح ، كما تدل على ذلك ،باقته الباريسية ، وكما تشير الى ذلك حليله الباريسية ايضا ، وما ان ينزل هذا الطارىء بدار اوجيني في ساومر حتى تبدأ حوادث الكتاب في الجريان . اما ام اوجيني فتتخاذل مولية الادبار تحت وطاة العقاب الذي ينزلـه غرانديه بابنته . وهذا الاخير الذي يقدم الينا في مستهل الكتاب جمله وتفصيلا تخصص له مختلف المواقف من،اجل عرض شخصيته عرضا جليا ، ولكن هذا البخيل لايستطيع ان يدهشنا باراءنا لجانب غير متوقع من جوانب نفسنه ، كما يفعل (بروست) بشخوصه عادة . ولكن شخوص بلزاك لا تتغير وانما تتوسع من مفهوم مركزي معين .

[illegible] في ان [illegible] بلزاك [illegible] الذي سيطر على القصة كما سيطر هر[illegible] وود على [illegible] كري او [illegible] على مسرحيه [illegible] ان لعضيلة قد اثارت بلزاك ولكن الرذيله [illegible] تعمل بالقياس الينا . يشير (الناقد [illegible]) مدة الى ان بلزاك حين ابدع شخصية غرانديه انما ابدع نسخته الخاصة من شخصية هارباغون البخيل الكلاسيكي الذي ابدعه موليير في مهزلته العظيمة (البخيل) . ولكن غرانديه ليس مجرد هارباغون متجسدا في القرن التاسع عشر بل هو مخلوق اصيل كل الاصالة . ان بلزاك يختار سبيله بدقة : ففي خلال الثورة اشترى صانع البراميل المجور احسن بساتين الكروم في المنطقة ، كانت سابقا تعود الى بعض الكهنة . يشير بلزاك بمرارة الى ان،غرانديه كان يعد شخصا ميالا الى الافكار الجديدة ، و « لكنه ــ في الواقع ــ كان ميالا الى بساتين الكروم » ولهذا السبب فقد ارتفع شانه في ادارة (ساومر) وازدهر وضعه،الاقتصادي كرئيس بلدية (براي) على عهد نابليون وبعد عودة الملكية. وعلى الرغم مما ساور ثروة غرانديه من شكوك . فقد اشتهر بالحكمة والرصانة ، وقد اشار الاستاذ صموئيل روجرز الى هذه الحقيقة عدة مرات ومن ذلك قوله : « ان غرانديه رجل نزيه مع قساوته .. وان لم يكـن كذلك ، فشعوره بالسرور لا بد له أن يضيع هباء (٢) » ...

ان غرانديه شخصية هزلية عظيمة من شخصيات الادب كجانين هزليات بين جونسن ، التي تسيرها وتسيطر عليها رغبة واحدة او نازع واحد من الجنون . ان،الصفحات الاولى من الكتاب تقدم لنا هذا المخلوق البارد الممسوس بقوة المال ، شخصا لا يرى خلاقا له في اي من الاشخاص . اما حياته فتجسد الفكرة القائلة : ان محبة المال هي اساس كل شر . انظر اليه كيف يخبر ابن اخيه شارل بان اباه قد ارتكب جريمة الانتحار « نعم ايها الولد ، لقد حزرت ، انه مات . بيد ان هناك شيئا افظع من ذلك ، لقد حطمك . لانك لا تملك شيئا من المال » . ثم يتشكى غرانديه بعد ذلك من شدة الم شارل فيقول : « هذا الولد لا يصـلح لشيء ، فهو يفكر في الموتى اكثر من تفكيره بالمال » . ولما تاخذ غرانديه سورة من الفكر . يعلق بلزاك قائلا : « ان البخلاء لا يؤمنون بحياة قابله . فالحاضر هـو كـل شيء لديهم » . ثم يعاقب غرانديه ابنته اوجيني بان يجعلهـا تعيش على الخبز والماء ، لانها اعطت دراهمها الى شارل ، ويتسبب وفاة زوجته لاصراره على عدم غفران البنت . ان هذا الشحص يبلغ حدا من البخل يجعله وهو على فراش الموت يحاول اغتصاب الصليب المذهب من القس الـذي يمسك به ليقبله .

اما البيت الذي يسكنه آل غرانديه الثلاثه ويحيون فيه [illegible] العارعه . فهو نفسه ابداع لا يقل اهمية به بلزاك [illegible] حالة ناسرة . [illegible] و لدرايه الشاملة بدقائق الاشياء والاحوال شىء [illegible] من بد اسان عبقري . ذلك بان طريقة بلـزاك [illegible] الناس والاماكن والحوادث كانهم جميعـا من [illegible] تسجيل ما يراه ويسمعه بدقـــة واهتمام . وهذا هو السبب الذي يجعله غير قادر عـلى التوقف غالبا كما تريده ان يفعل . فعندما يتسلم غرانديه رسالة من اخيه ، او يكتب شارل الى خليلته ، لا بد لنا ان نقرا النص بكامله . وحين تعد اوجيني مجموعة نقودها الذهبية لشارل من اجل البحث عن عمل في جزر الهند العربية ، نرى غرانديه يغدو عالما من علماء النقود يتفحص كل عملة على،حدة بعناية . ولما يصل شارل من باريس يعدد بلزاك بدلاته مضيفا اليها هذه الملاحظة المهمة: «لقد اشترى كل نوع من (الياقات) والاربطة الشائعة في ذلك الوقت » .

ان بلزاك هو اعمق مؤرخ واع لعصره لما يثير بنا،من انتباه بالتفاصيل كانه عالم من علماء العاديات يشرح عادات حضارة مندثرة .

(وفي هذا الصدد يمكن مقارنة تيودور درايزر ببلزاك،بدقة، فهو ــ في الحق ــ حفيده الروحي كما هو ابن زولا وذلك في روايته « الاخت كاري ») .

وبلزاك اعظم ما يكون نجاحا كمؤرخ عندما يتعرض الى غرانديه وتصفيته لديون اخيه . « يعترف كل من اندريه جيد ومارتن تيرنل ان تفصيلات هذه القضية هي خارج نطاق تصورهما مع،انهما يقران بحنكة،مضاربات غرانديه » .
وبعد ، فان اصرار بلزاك الساذج الاخاذ في تسجيل ادق

صقيع ...

ايها الشتاء المجنون
يا سجن المزقين فى هذا العالم
يا ليلا امطاره من خناجر وحجارة
الا ، اسكب فى روحي نهرا
من نبيذك الجهنمي
اغرقني ببحر جنونك المتجمد
اضرب جبهتي بيدك الحديدية المتنمرة
واصلب قلبي شهيدا على صفحة السماء
اصلبه ... ليكافح الرياح ويسهر العاصفة !!..

اما اسطورة الاحتراق ، والبرودة
وغفوة القمر فى ليل من صخور
انني اشم فى احتراقي روائح احلام
نعمه بالحنين الى ارتياد المجهول .
وعبير سمك .. وشذى تبغ محمر بالسد
واريج لحم آدمي
يحترق فى غابة الحياة المخيفه
غابة الشتاء ، فى صميم الابديه

الحطب يشتعل فى المواقد
ليستحيل الى لهب ازرق ، واحمر ، ووردى
بلون اعراف الديوك
وانا اشتعل فى مواقد الزمن
لاستحيل الى اغنية بلا لون ،
ودونما روائح موحية

لو كنت حطابا لجمعت من اشجار الغابة
جبالا هائلة من النيران ، واحرقت الشتاء
هذا السرطان الرهيب الذي يعسكر فى الحنايا
كجيش من الفيلان

خذ حريتي يا شتاء بربريا واعطني معطفا
وخمرا .. وتبغا
خذ حريتي وامنحني قليلا من الدراهم
ادمغ بها قساوة المخالب
لكن اياك ان تدخل داري
وجيوبي تصرخ كثعالب جائعة
كقطار ... فى امسيات ماطرة حزينة

لو كنت ذئبا لاخترق رمحي جبهة الجوع
وجبهة الصقيع
لو كنت ارنبا لتدثرت بفروة تقيني شر الزمهرير
لو كنت حروفا لكنت احتمي بجلد دافىء
يكفيني عناء البحث عن معطف

... الذين يسدد الى صدرى
غابه كبهه من الخناجر
وها انا صحيه فى وليمة الحياة الجهنمية
يقتلني الزمن بنيران العذاب ..

خذ حريتي يا شتاء
واعطني معطفا .. ونهرا من نبيذ

دمشق — سليمان عواد

التفاصيل المتعلقة بعالمه يسحرنا سحرا ويقنعنا ! وهذه المسألة تكون جوهر « واقعية » بلزاك المشهورة . التي كتب عنها الكثير والكثير جدا) . حتى ان اشد الحوادث غرابة وابعد الشخوص عن الواقع تبدو معقولة . اما استغراق بلزاك فى عالم خياله فتمثله اجمل تمثيل النكتة المشهورة : دعا الكاتب جول ساندو ، احد عشاق جورج ساند ، دعا بلزاك الى بيته وابلغه نبأ وفاة اخته . اصغى اليه الضيف وعبر له عن تعزيته وفي لختام قاطع صديقه قائلا « والان دعنا نعود الى الواقع . اتعلم من سيكون من نصيب اوجيني غرانديه ؟ »

اربيل — العراق — يوسف عبدالمسيح ثروة

مطحنة البرغل

بقلم الدكتور علي شلق

مطحنة البرغل كانت منذ كان الماء في لبنان ، اما تلك التي تئز ، فلم تكن معروفة لم نكن قد ولدنا بعد ، المطحنـــه الاليه ، هذه تدار بالمازوت ، وللمازوت رائحة غريبــه . والاولى تدار بالماء، وللماء امر اي امر في حياه الانسان . الماء يمنح الحياة فهو مصدر لها من جهة ، وهو يعطي الجمال بخضرته ، ونضره ريحانه وظلاله .

لمطحنه البرغل ، وما يحيط بها من قبل ، ومـــن بعد ، تاريخ في لبنان . فقبل مهرجاناتها كنا ننتظر بفارغ الصبر الى ما بعد منتصف الليل ، حيث يهب اهلونا من رقادهم ليوقدوا تحت الدسوت ، التي فيها القمح ، فيسلقونه . ثم يفلشونه على الــسطوح ليجف ، ليعود صالحا للطحن .

لم تكن اكداس البلان ، والقندول ، وغصون الــسنديان، شائكه في نظرنا ، انها حريرية ناعمه ، فهي التي تساعد على سلق القمح . فما ان يضع الوافد اولى دفعات الــسلال بالكابس تحت الدست ، حتى تشتعل النار فتمحي على وجوهنا ، ونحن معوقزون قبالة الموقد ننتظر ان نلتهــم القمح المسلوق ممزوجا بالسكر وماء الزهر .

ما كان امجدها مشية الى بيوت الجيرا[illegible] صحاف القمح المسلوق ، بركة واكتفا[illegible]

كانت امنيه لي اسابق عليها اخواتي واخ[illegible] ان اصعد الى الـسطح ، واحرك القمح المـ[illegible] بالقاحوفة ، او بقدمي ، كي تتخلل الشمس بحرارتهــا جوانب حباته جميعها . وعنـدما تتم اليبوسة ، يجمع المحصول في عدلتين او اكثر ، ومعنى ذلك اقتراب موعــد المهرجان . مهرجان المطحنه الموعودة .

ذات صبيحة ، من صبيحات ايلول او تشرين ، كـــان سكان ظهر المصرة يشتغلون بعد منتصف الليل على تصايح، وتناد حبيب انيس ، يا الله يا حاج عوض كفى نوما ، قــم يا عبد الكريم ناد على الحورية ام يوسف فقد حملنا .

ما ان تتحرك القافلة الى مطحنة نهر الجوز ، حتى يكون ابو محمود ، وطنوس موسى ، واحمد سلمان ، ونــاصيف الخوري ، وتوفيق نصر يندمجون بدوابهم مع القافلــة . وهذه استير ، وتلك رنجه ، والثالثة ست اليمن ، والرابعة ام محمود ، جميعهن يتقدمن القافلة . وفي ايديهن بعــض الزاد ، او شالات تتحرك بها تلك الايدي لتقيهن حـــر الشمس ، فهن اللواتي سيفركن البرغل ، وهــن اللواتي سينخلنه ، ليفردن البرغل الخشنة عن الرقيعة .

وعند المفرق يتساءلون :

شو رايكم يا شباب ؟ نروح الزرافية او المسيرة ؟ جميعهم بصوت واحد : الزرافية اوفق ، فعلى الاقــل نبل ريقنا بكام ليمونة حلوة ، فضاهر جحا صاحبنا ، وهو رجــل كريـــم .

يصيح الحاج محمد عارم ، ظاهر جحا قريبنا، ومعكم حق ناصيف الخوري يعقب ، منين قرايبكم يا حاج ، انتم من كفريا وهو من كفرحي ؟

اسكت يا صبي ، جدنا واحد ، جاء مـــن اليمن وتوزعنا مـــن العاقورة .

وما ان تطل القافلة على وادي نهر الجوز ، حتى ترقص قلوبنا نحن الصبية فرحا .

تهدا لهاث النهر الحريري يلمس بامواجه المخمليـــة وجوهنا ، ورائحه الماء ، والاشجار والاثمار ، هذا الكوكتيل السحري ، يملأ صدورنا نشوة وحيويه . ويترامى الينا من بعيد هدير النهر ، وجنبه المياه ، فتأتلف تلك الاشياء الموحية مع تباشير الصباح . فننغمر في فرحة لم تحلـــم النواقيس والمآذن ، ولا حرمات الهياكل باقدس وابهج منها

احجار الطاحونه ساكنة ، لانه كان من العبث والبطلان ان يستطيع رجل في القريه مسابقه الحاج محمد في عدوه فكثيرا ما كان اخوه الخوري جرجس يخاطبه بقوله : نــام ولا يا مرد ، اسنا ما حطينا راسنا على المخده ، ولكن الويل محاملين من عصا الحاج محمد .

[illegible] وكانت احجار المطحنه تدور ، وتملأ جوانب [illegible] المجاوب مع هدير النهر ، فبما [illegible] [illegible] على الماشي لا على ان واحدا سبق الحاج محمد [illegible] هدرات الميجنا والبوزلف ، ومواويل [illegible] ، فلدى سمع سمع ، والاعراس معدور ، ونحن الصبيه ، نبدأ نجوب البساتين ، نغير على شجيرات الليمون الحلو ، وبقايا العنب الاسود في رؤوس المحامل الساهمه الملو . كنت وحدي ذلك الصبي العفريت الذي يتسلق تلك الاشجار الباسقة مهما علت ، لا فـــرق بيني وبين العصفور . الا ان ذلك يطير ، وانـــا المتشبث باخر غصن في الذروة ، مهما لان وانحنى فلن تفلت يدي منه ، الى ان ارمي في الماء اخر خصلة سكرى بنضجها . وبريقها وحلاوتها ، فيلتقطها واحد من الصبية العفاريــت من تحت .

اما حقول العبيد ، فقد كنا نغير عليها ، ونكثر مـــن نعيش حباتها الدسمة فتصاب في كثير من الاحيــــان بالدوخة . لكن تلك الدوخة ستزول سريعا عندما نخلع ثيابنا ونمرطس في الماء ، او نتسرب الى كهف الفراش، حيث يدور دولاب المطحنة بعنف ويقذف رشاه الابيض المزبد على اجسامنا ونحن نقترب او نبتعد حسب شجاعة كـل منا . وما اطيبها ساعة ، حيث ينادى علينا لنشترك فـي حفلة الغداء وتكون مناقيش البراقون الطازجة تملأ خياشيمنا برائحتها المشهية ، فيسيل لها لعابنا ، وتكمكر امعاؤنـــا ، وننحدر بين المتحلقين لنمعن رلما وبلما .

ام محمود ماهرة في صنع اقراص العجة ، وتحضيـــر

ضياع

سفينتي تمخر في العبــاب
بــلا شراع
الريح تطويها ويخفيها الضباب
وصدى يردد بـلا انقطـاع
ضيــاع ضيــاع
انـا لا ادري الى ايـن ادبر الدفه
يكـاد قلبي يقفــز
مـن موضعـه بلهفـه
كلمـا بـدا لي في البعيـــد
مصباح يضيء ويختفي
هـــل وصلت الى مرفاي ؟
ولكـــن الى ايـن امضي
لسـت ادري
لا شيء هنـا حـولي سوى الضيـاع
والصـدى الـذي يتبعني
يردد بـــلا انقطـاع
ضيـاع ضيـاع
اخشى الضيـاع في هـذه اللجـج العميقـه
سابـرك الامـواج بعـود سفينـــي
الـى ايـن .. لا ادري

القاهرة — سلوى بوحيمد

سمك راس الشقعة المشهور واستير ، ست من عمــل مرشوشة الشوما ، وست اليمن ملشت جاطا طافحا بمقلي المر ، هذا الحوت الذي يعشق اكله سكان الساحل من لبنان.

اشتراكية معبودة ، اهل القرية من افراد هذه القافلة ، عائلة واحدة في عيد البرغل الايدي تمتد الى الزواويد ،كل يأكل ما طاب له ، هذا من زوادة ذاك، وتلك من زوادة تلك، وكثيرا ما تخطف الحجية لقمة من يد الخورية ، وابــــو محمود يلقم طنوس موسى شرحة سمك ، وهكذا الى ان يكتفي الجميع، وترتفع الايدي شكرا لله وحمدا على نعمته. هذا يصلب ، وهذا يشقل جفونه للسماء بابتهال، والجميع حامدون منشرحون قد اوصلوا محبتهم الى مصدر المحبة.

وعندما تجنح الشمس الى العصر ، يحدون في جمــع البرغل عن سطوح المطحنة ، فتجفل قلوبنا ، لاننا سنترك هذا الجو . السحري البيت ولن يحتوينا الا في العام المقبل. وعندما تحزم اكياس البرغل على ظهور الدواب يبـــدا ابو محمود بدقته يفتش على دابة الخوري ، والحاج ، ثم يسويهما ويقول مدندنا هازئا، طول عمركما حملكما مايل ، فيصيح عليه الذين تقدموا القافلة ، يالله يا ابا محمود بلا حشريه اعمل حاجا او خوريا وبعدين تامر ، لو شلحهـــا الحاج شلحا لجاءت جالسة .

وتصل القافلة الى كفريا ، ويذهب كـل الى منزله . وتمتزج الاصوات بحنان وبركة واكتفاء :

الله يزيدها بين ايديك يا بونا الخوري ــ الله يديــم لنا رفقتكم يا حجية ــ كل عام وانتم بخير يا بو محمود ، صار فيك هلق تعوم بصحون الكبة والمجدره . فتصيح استير ، والله صحن تبولة او مرشوشة بيساوي كل ما تعمل ام محمود من صواني كبه .

اسكتي يا استير ، وتدحرج المدقه في ايد ام محمود على الجرن لها غنائي .

ويسدل الستار ، وتنحسر الشاشة ، فاذا بعبد الرزاق يعود الينا اليوم بتنعيصة واحده مملوءة بالبرغل طحنها عبد يوسف حنا على مطحنة المازوت ، واجالنا نكتفـــي بالتنعيصه بعد المدليين الكبيرتين من البرغل. هذه لا رائحة لها ، لا نكهه ، وبرغل مطحنة النهر . كانت ترافقنا اجواؤها من ظلال وطراوات ، وعطور ، وناكل صحن التبوله ،فتصيح ام الاولاد برغل النهر اطيب .

كاد يوعي ذكرياتنا يتلاشى في التنعيصة، فخلايا الطحين، [illegible] رغ والطحن ماسب من نوسا ، احالتنا الى كل الحبر من يد العران يوميا ، وحل الرز محل [illegible] الخارج ، واسرعى الى بلادنا ، الى لبنان ، [illegible] وحمولنا ، سلقناه وفركناه ، وطحناه، وشمسناه ، وتمسناه بايدينا بلهاث عيوننا وقلوبنا ، فعكس حواء بلادنا ، وشهوه نفوسنا في كل حبة من حباته ، واما ارز فالايدي الغريبة ارسلته .

اصبحنا غرباء عن انفسنا عندما نتحلق حول المائـدة ، بعد ان كنا نتحلق حول الطبلية ، وكلما تقدم العمر بنـا ، نلتفت الى الظلال والرسوم ، فنجد ان بلادنا تلبس ثيابا غريبة ، موحشة.فلا نملك الا التلفت والتنهد ومسح الجفون

يا ابناء بلادي ، في لبنان ، تمتعوا بيسر المدنية ، واطلوا على العالم بمقادير الشخص اللبناني الحر، صاحب الامكانيات النامة ، ولكن على شريطة ان لا نفقد شخصيتنا الخاصه ، كلبنانيين اصحاب ميزة ، ان لا نتنكر لارضنا ، لحقولنا ، لبرغلنا. فقد كاد ينسينا الرز وبرغل التنعيصه، من مطحنة المازوت ، نكهة برغل النهر ، واجواء لبناننا المعبود .

وانتم يا اولادي يا تلاميذي ، يا اصدقائي ، يا رفـاق الصبا في القويطع ، وفي بقاع لبنـــان المتنوعة ، المعبودة . اشفقوا علينا نحن ، ولا تطفئوا شموع ذكرياتنا ، واعيدوا الى اجوائنا الوان لبناننا ، واصواته ، المنبعثة من حنجرته، من حقوله ، من اعماق ضميره فقد كنا نخشى في ضجيج الغربة الموحشة ان نفتقد حتى هذه الذكريات .

علـــي شلـق

الصمت والريح والمقبرة

* * *

عبر الافق الاصيل كانت بقايا الشمس تحمر من شظايا سناها
وبقاياها معصفر اللمح شحوبا على مدمى خطاها
وطيوف الغروب في الشفق المسفوح اشباح وحشة في مداها
ومداها جنائز النور ، اواه تهادت ، وكفنتها ... رؤاها
ورؤاها مدامع الليل ، والمحزون طيف من الاسى كم وعاها
حين القى همومه في ظلال القبر سهمان من منسدى شذاها
والرمال العطاش تشت صديد الميت والدود تحتسي مثواها
سحره عرس شهوة من رؤاها وحناياه تنتشي من صداها
الف الوحدة الكئيبة والاشباح والصمت جنة من رناها
وفلول الغربان نعمانه الاحياء ، في ملعب المدى يرعاها
حلمها لبعث النعيب المغني ... يا لعلو الاصداء ، ما اشهاها
عذبات النئيم في قلبي المخمور ، يا ليت احلمي ماواها
خلها تخصب العذاب لاروى انا اهوى حياتها ، اهواها

ثم القى على الرموس العزائي من حواليه ... نظرة تتناهى
عبر جرف الغروب ، يلتسف بالاقباس حرفي لدى عرايا مداها
ما لها ؟! ما بها ؟! اشلاء دروب تناثرت من ثراها
امس كانت يزينها الصخر الشحوب ، يا ويح نحسها ما دهاها ؟
افترت من مباهج السحر ، حتى الحلى سابحا في سراها
ها هنا كان مرفا اللهو ، ما اشقى ضلالات صبوة تتناهى

واطل المساء من كوة الصمت سيوفا ، تيدلت في دجاها
وهو [illegible] فوق [illegible] سحره عراها
دهرها [illegible] العطشاء [illegible] نعماها
كان في زحمة الظلام ... وحيدا بين جنبيه ذكريات طواها
همسات الهوام تخضض في الانسه رجما منهكا في صداها
اين ملهى الصبا المندى ؟ ' تلاشى ؟ ! في ذرى السهو ما احيلى رؤاها
حين كنا ، وكانت الريح تعوي من اساها ، ووردت شفتاها
من لمسايجها ، وحلم الاساطير ، وشوق البلى عطايا جناها
في عروقي ، واحلمي ، يا تراها تشتكي حرقة السرى .. يا تراها ؟
كم تنزت من الضحايا ، وامست من سبيات السراب تنعى كراها
ساليات الرمال عبر الفضاء الجهم بالويل ترترت من ثراها
مالم للثبور خلف رباها ، وخيوط الصموت تنسل آها !!
وبها غصة الاسى سعرتها حشرجات اللهاث بين حشاها
وحشاها مناجم العقم ، والتنين بقتات في الدجى بلواها

ظل في صمته الحزين يسل الهمسة ، والريح تشتهي نجواها
ثم اغفى الظلام بين يديه وسرايا الخفاش مالت خطاها
وحده ظل جامد الحس ، والاحلام تجتر من غشايا مداها
ودموع الاصيل تستل من جنبيه ذكرى مخضوبة من نداها
ليت دنياه ها هنا تشرب الآلام ، تقتات من خطايا صباها
كان بين القبور محتاقي عطر الورس سلوى تسللت من ثناها
غمغمات الصباح كانت نشيجا عبقريا ، يئن عبر سراها
ثم جسر الخطى مع الليل ، والدرب قبور تكورت في رباها
ينشر السر في الخطى الصفر دمعا ذاب في مقلة السهى من شجاها

بغداد علي الحلي

• في مقدور كل شخص يحسن القراءة ان يضاعف ما لديه من وسائل النشاط وان يضفي على حياته المليئة بالعمل المزيد من الكرامة والمعنى بواسطة المطالعة . فالمطالعة ليست من الكماليات . هي ليست مجرد طريقة لملء الفراغ . انها ضرورة حتمية . هي من حقوق الانسان الاساسية هذه الحقوق التي لا يمكن نقضها .

المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع

بقلم اندريه موروا

ترجمة يوسف اسعد داغر

كراس بهذا العنوان يقع في ٣٢ صفحة محلى بالصور والرسوم المشوقة ، وضعه الاكاديمي الفرنسي المشهور اندريه موروا بتكليف من الاونسكو ، ضمنه اهم ما يجب ان يعرفه القارىء العادي عن هذا النوع من المكتبات ، والدور الذي تلعبه في تثقيف العامة . وقد راينا ان نقتبس منه بعض المقاطع لنرفد بها مجلة «الاديب» فائدة القارىء العربي

المطالعة

تحصرنا الانسانية مجموعة من [illegible] الذكريات [illegible] الاجيال التي تقدمتنا [illegible] لا يمكننا ان نبلغها الا عن طريق الاتصال بالآثار [illegible] الدهور . ولكي يتم لنا ذلك [illegible] صحف او مجلات . علينا ان نقرأ ، اي [illegible] علينا ان نتخذ من المطالعة او القراءة سبيلا [illegible] ولا بالصورة المجردة ما للمطالعة من قوة تهذيبية . فالصورة ضرورية لايضاح نص مكتوب الا انها اعجز من ان تعطينا افكارا عامة . فالشريط السينمائي كخطاب المنبر ، يمر وينقضي . انه من العسير ان لم نقل من المستحيل الرجوع اليهما . اما الكتاب فيبقى هو ، رفيق الحياة . صرح مونتاني انه بحاجة لثلاثة لا رابع لها : الحب والصداقة والمطالعة . تكاد تكون هؤلاء الثلاثة من طبيعة واحدة . نستطيع ان نحب الكتاب فالكتاب صديق وفي صدوق . واستطيع ان اؤكد هنا ان للكتب اشد حكمة واسع عظة من اصحابها . فالمؤلف يودع كتابه خير ما عنده . فحديثه مهما كان براقا ، طيبا ، جذابا ، يمر وينقضي لا يلوي على شيء . اما الكتاب فاستنطاقنا لحناياه واستطلاعنا لاسراره لا حد لهما ولا قرار .

هذه المحبة للكتاب الواحد يمكن ان يتقاسمها ملايين من الناس دون ان نخشى فيها لومة لائم . فمرلك وديكنز وتولستوي وسرفانتس وغوته ودانته وغيرهم يتحلق حولهم اناس كل ما فيهم يدعو للغرابة والبعد والتناقض . ارى في ياباني وروسي واميركي اجهل منهم كل شيء ، اصدقاء حقيقيين في « ناتاشا الحرب والسلم » و « فبرس [illegible] ده بارم » و « ميكوبر دافيد كوبر » .

الكتاب وسيلة من وسائل التحاور والاتصال . فما من رجل تمكنه من تجربته الذاتية ان يستطيع فهم الآخرين ولا فهم ذاته الفهم الصحيح . كلنا نبدو وحيدين في هذا العالم الشاسع المغلق على نفسه . هذا الكتاب يؤدينا الى [illegible] العالم ومنعطفات الحياة . فالكتب [illegible] حدثت من نموا وسعوا وتحملوا [illegible] وبحث . فهي نوافذ مشرعة [illegible] النفوس والشعوب . وبعض هذه [illegible] من عالمنا الشخصي الضيق وتخفيفه [illegible] . ان اهمية بعضها في المطالعة [illegible] هي ترويح ، ما هي رياضة [illegible] الانسان من هذه الذرى [illegible] وقوى [illegible] وتخلص بدفعة من الادران العالقة بهما . وهو غني احسن ما يكون استعدادا لمتابعة اجتهاده [illegible] ما يعترض سيره في معارج الحياة من عقبات .

والكتب هي خير ما لدينا من ذرائع تعرفنا الى احداث الماضي السحيق كما انها امثل ما نملك من وسائل لتفهم روح الجماعات البشرية التي لا طاقة لنا على الاتصال بها . [illegible] المسرحي تطلعني على روح اساليب الحقبة اكثر مما تتيحه لي عشرون رحلة اليها . وتطلعني [illegible] وتولستوي على دخائل النفس الروسية [illegible] . ومذكرات سان سيمون تبعث امامي صورة لفرنسا مضت وانقضت . تماما كما تعيد قراءة روايات هوثورن ومارك توين التي تبعث فينا صورا لاميركا زالت من عهد بعيد . كل ذلك في جو من المتع الروحية بعد الكشف عن مشابهات كثيرة تقوم بين هذه العوالم التي نأت عنا في الزمان والمكان ، وبين العالم الذي نعيش فيه الآن . فللناس خصائصهم المشتركة . فهؤلاء الموتى والقادة الذين يرسم لنا هوميروس صورا عنهم لا يختلفون كثيرا في مشاعرهم واحاسيسهم عن كبار القادة في جيش حربي معاصر .

فبالرغم من هذه الاضداد وفوارق العرق والدم تظل علينا انسانية واحدة . فالسوبرمان لا يختلف عنا الا بمقاييسه لا بجوهره ، ولهذا كانت سير مشاهير الرجال مثيرة قراءتها للناس اجمع .

اذا نحن نقرأ ونطالع لنسمو قليلا فوق واقع الحياة ولندرك ، اكثر فاكثر ، واقع الحياة في الاخرين . ولكن للكتاب غير هذه من المتع واللذائذ . ان واقع حياتنا اليومية يجعلنا وجها لوجه مع احداث ووقائع يصعب علينا تفهمها حق الفهم ونحن في غمرة من الشهوات والاهواء . كثيرون بيننا يحيون حياة خليقة بريشة ديكنز وبلزاك ، ومع ذلك فهي تبدو لهم تافهة لا بهجة لها ولا لذة . عمل الكاتب هو ان يقدم لنا عن الحياة صورة حقيقية ، يضعها منا على ابعاد نستطيع معها ان ننعم بها دونما خشية او مسؤولية .

ان من يطالع رواية طيبة او ترجمة لاحد العظماء يعيش حوادثها دون ان يلحق بصاحبه ضر او اذى . ما احسن ما قاله بهذا الصدد سنتايانا ، عندما يؤكد ان الفن يمد الفكر بما لا يستطيع مثله العمل ، اذ يجمع بين الحياة والسلام [illegible] ان قراءة كتاب في التاريخ امر [illegible] اذ فيه دروس وعظات في الحكمة والتعقل والسببية والكتب الجميلة لا [illegible] مطالعها [illegible] فهي تسكب فيه من طابعها وتجعله احسن واكمل .

المكتبة

[illegible] اهم [illegible] الناس وسائل الانطلاق والتفلت والكشف التي من شأنها ان تحدث فعلا ، تحولا في حياة الفرد وتزيد من قيمته الاجتماعية . ولعل امثل هذه الوسائل طرا وابعدها ارتقاء المجتمع هي المكتبة العامة .

نحن في عصر نجد فيه الناس في كثير من البلدان يزدادون يوما بعد يوم ، استمتاعا بالمساواة في الحقوق . ويشاركون اكثر فاكثر بعملية الحكم ويؤلفون رايا له من الحول والشأن على الحكومات القائمة ، الكلمة الفصل ، في حالتي السلم والحرب ، وتقسيط العدالة ورفع الظلم ، وبكلمة اخرى بحياة الشعوب في العالم اجمع . وقوة الشعب هذه التي نعبر عنها بالديمقراطية تقتضي بان يتم للجماهير التي اصبحت مصدر السلطات ، الوقوف على المشكلات الكبرى التي تستبد بانتباه العالم . والذي اعنيه بذلك هو ان تنال هذه الجماهير ، اكثر فاكثر ، تعليما يبقى ابدا ناقصا مجزوءا ، ما لم تردف المكتبة عمل المدرسة وتتمه .

فالانصات والاصغاء الى معلم مهما سما قدرا وقيمة ، لا يكفي وحده لتهذيب العقل وصقله بل يجب دعم الدرس بالفكر والروية والتامل . فدور المعلم يقوم بتزويد الطالب بما يلزم من الملاكات والقوالب المحددة التي ياتي العمل الشخصي ويملأ منها الفجوات الشواغر . فما من تلميذ او طالب علم ، مهما كان لامعا ان يحقق لوحده ، ما كونه البشرية وصلقته مدى الوف الاجيال . وكل تامل نشيط فعال يتناول قبل كل شيء ، الفكر التي التمعت في خلد عظماء البشرية . فالتاريخ يصبح شيئا تافها اذا ما اقتصر على الاحداث والافكار التي في وسع المعلم ان يتدبر امر تلقينها وتقريبها للافهام في بضع ساعات . ولن يلبث ان يصبح التاريخ درسا بليدا وعظة للطالب ، اذا ما راح يتسقط ، بناء لنصح معلمه دروس التاريخ في الحوادث المسرودة والمذكرات الموضوعة والاحصاءات المروية التي تؤلف مادة التاريخ .

ليست المطالعة رياضة موصوفة قويمة للعقل فحسب . فهي تكشف للاذهان الفصة الفنية ، الخصائص الخفية للحقائق التي سيتلقنها الطالب لقمة سائغة ، بل يتحتم عليه تكوينها بنفسه على اساس من الجهد الشخصي والاسلوب الواضح والنية الحسنة . فالمكتبة هي تتمة لازمة للمدرسة او للجامعة . ولا اعدو الحقيقة اذا ما قلت هنا ان التعليم هو المفتاح الذي يفتح امامك باب هيكل العلم ممثلا بالمكتبة .

ويصح هذا بالاكثر على التعلم بعد المدرسة . ففي عهد [illegible] على [illegible] مواصلة [illegible] في [illegible] [illegible] وشعور [illegible] معروفة [illegible] . [illegible] لا يقف حيث تركناه يوم غادرنا المدرسة [illegible] فالتاريخ في صيرورة وكينونة لا تنقطع . فهو [illegible] امامنا مشكلات [illegible] [illegible] . فكيف [illegible] واحداثه [illegible] وان ندافع عن قضايا راجحة الحجة [illegible] في وجه جهالات مجرمة . [illegible] فاله ، اذا ما كنا نجهل كل شيء حول القضايا القائمة ؟ فاذا ما صح هذا عن التاريخ واحداثه ، صح كذلك عن الاقتصاد السياسي ، عن العلوم الاخرى ، والتكنيكيات الاخرى . فالسنوات الخمسون الاخيرة جددت معارفنا بعد ان قلبتها راسا على عقب وظهرا لبطن . فمن يا ترى يزود الناس ، رجالا ونساء ، بالمعلومات اللازمة حول هذه التغييرات والتطورات الاساسية التي يتوقف على معرفتها معرفة حقيقية ، مصائر سعادتهم وبؤسهم ، من يساعدهم ، وهم يعومون يوميا باعباء الحياة على ان يحسبوا حسابا لمكتشفات العصر ؟ الكتاب والكتاب وحده .

على المكتبة العامة توفر للجميع ، شيبا وشبانا ، اولادا واحداثا ، فتيانا وفتيات ، رجالا ونساء ، وسائل الاطلاع على الحدثان المهمة التي هزت عصرهم ، من اي نوع او موضوع كانت . فاذا ما وضعت هذه الوسائل تحت تصرفهم ، دونما محاباة او غرض ، واتيح لهم ان يطالعوا المؤلفات التي تعرض للقضايا المتضاربة التي تستاثر بخواطرهم ، سهل لهم هذا الاتصال المباشر ان يكونوا عنها رايا معللا ، وان ينظروا اليها نظرة ناقدة ، محللة بناءة ، لا ظل للحرية على الارض بدونها ولا قوام . فهي تثير فيهم

الدعوات ، وبعث في كل من يقرأ فيهم الرغبات والمنى . فعندما قرأ الناس آثار المؤلفين الكبار وتأثروا بمخلفاتهم الفكرية ، نجد نفوسا موهوبة تنبهت مشيئتها او تفتحت امامها معالم الطريق ، ابوابا ومخارج تفضي بها الى باحات العلم الوارفة ومرابع الآداب والفنون ، بحيث تيسر لها بدورها ، ان تغني هذا التراث الثري المذخور المتراكم .

بعد هذا ، وفوق هذا ، ان مكتبة عامة غنية بمجاميعها ومجموعاتها المنوعة تفتح ابوابها على مصاريعها ، فتغني من حياة روادها الخاصة وتزيد من ثرائهم العلمي والفكري . ففي هذا العصر الذي لا تكاد ان تحل فيه الآلة ، الى حد بعيد ، محل العضل المفتول ، وتزيد بالتالي من اوقات الفراغ امام العمال ، يتحتم علينا التفكير جديا ، باملاء هذا الفراغ ، على الوجه الاكمل ، بخير الافراد والمجتمع معا .

صحيح ان الملاهي والالعاب الرياضية والاسفار تساعد على ذلك . ولكن ليس اصلح من املاء هذا الفراغ من المطالعة والقراءة ، اذ من شأنها ان تغذي العقول وتنمي ما فيها من روح انسانية كريمة . **فكما ان الكتب العلمية والتاريخية** تغذي العقول ، تغذي مطالعة الروايات الادبية بالمشاعر والاحاسيس العاطفية ، ويعيش فيها [illegible] الذي يعرف جيدا مشاهير الكتاب [illegible] **له زيارته او جهل منه اللغة واللسان ، لم يعد غريبا عنه .** واذ ذاك تصبح المكتبة معهدا او [illegible] وبذلك تكون المكتبة العامة ، بمجرد [illegible] الى ديانة خاصة او عرق خاص [illegible] **تعمل في خدمة السلام كما تعمل في خدمة الديموقراطية .**

المكتبة العامة وخدماتها

المكتبة العامة في العصر الحديث هي مؤسسة تنبض بالحياة وتحفل بالنشاط . فهي تتفتح للقارئ وتسعى اليه ، وكلها رغبة في ان تشبع نهمه الى المعرفة وتروي عطشه الى العلم . فمجموعاتها يرجى بعد ان تزوده بكل ما يساعده على جمع المعلومات ، وعلى ما فيه ، وتبعد عنه . ولهذا يترتب على مجاميع المكتبة العامة ان تحقق هذا المنهج وان تنهض به . **فمن الضرورة بمكان ان يستطيع الجميع** ان يعولوا على ما في المكتبة من كتب المراجع والارشاد ، كالمعاجم ودوائر المعارف والموسوعات العامة ، والفهارس البيبليوغرافية ، والاطالس الجغرافية ، والروزنامات التاريخية . وعلم التاريخ يجب ان يكون ممثلا في المكتبة بمؤلفات عامة في التاريخ ، كالتاريخ العام ، وتاريخ بعض الدول الكبرى ، ولا سيما تاريخ البلاد التي تقوم المكتبة فيها ، وتاريخ الفنون والآداب والعلوم ، ومجموعة من الكتب حول التاريخ المحلي او الاقليمي . ان رفا خاصا بالسير وكتب الطبقات له قراؤه ومريدوه . ثم ان كتب الجغرافية والرحلات والاسفار ، والكتب الفنية والمهنية هي ايضا من اهم مقتنيات مكتبة عامة تحترم نفسها كما تحترم قراءها .

اما مجموعة الكلاسيكيات ، فيتحتم عليها ان تضم نخبة اولئك المؤلفين الذين لا يزالون يحتفظون بقرائهم . ان شعراء الطبقة الاولى او الشعراء النوابغ ، ليسوا من الكثرة بحيث يتعذر جمعهم في مجموعة واحدة . اما الروايات والمسرحيات فامرهما مختصر مرتبط بالعمري . فهما من الكثرة والوفرة بحيث لا مندوحة هنا من الاقتصار على الاهم ولو ادى هذا الاختصار الى بعض التحيف . من المهم هنا ، ومن المطلوب قبل كل شيء ، ان يتوفر للمكتبة ويتواجد بها المحلون او الرواد من الكتب من كلا الجنسين ، في كل بلد او لسان . ثم على مجموعات المكتبة العامة ان تتضمن بصورة بارزة ، الكتب الفنية والمهنية ، وكتب النصوص التي تبحث في الحرف والمهن اليدوية . ولا سيما ما كان سائدا منها في مناطق البلاد على اختلافها . فعلى المكتبة **ان تراعي قبل كل شيء حاجة قرائها ومطالب روادها ،** وان تكون مجموعاتها تعبيرا عن البناء الاقتصادي القائم في البلاد ، او مرآة تعكس صورة عامة لما بلغته البلاد القائمة فيها ، من مبلغ التطور في مضمار الحضارة .

حرية الوصول الى الرفوف في المكتبة متاحة للجميع ، اي [illegible] في ان يختار هو بنفسه من على الرفوف [illegible] مطالعته وقراءته . والفهارس **البطاقية** يجب **ان تكون تحت تصرف الجميع ، فترشد المطالع** [illegible] الى ما ينشده وتدله على مطلبه ، [illegible] من التعسف والتضييق ، [illegible] المكتبة بهون واسرع سبيل . [illegible] الفهارس البطاقية هي عين المكتبة وادلتها [illegible] الحديثة يجب ان تكشف عن [illegible] مشروعة لم تكن المكتبة لتعرفها او تعنى بها من قبل ، كالمحاضرات ، والمناقشات حول قضايا ادبية وثقافية عامة ، وقضايا فنية واجتماعية . كما يجب ان تضطلع عن معارض فنية وثقافية تنظم دوريا او وفقا لبعض الذكريات الوطنية او الادبية التاريخية ، وحفلات موسيقية او تمثيلية . وكلها مناسبات تعرف بالكتاب وتدعو اليه وتحببه الى النفوس ، وتقربه منها فتقيم اساسا على **مصاحبته ومعاشرته ، وعلى قراءته .**

فهل من عجب ان تصبح المكتبة العامة ، بعد هذا ، منتدى للثقافة ومنتجعا لرواد العلم والادب والفن ، ومختبرا لطلاب البحث ، يرتادونه ليل نهار فتعمل على توسيع المعرفة بين الناس وتوفر لهم لذائذ فكرية لا تثمن . ولذا تكون المكتبة درعة متين لتبادل الافكار بين اعضاء المجتمع ووسيلة سائغة لاملاء اوقات الفراغ بين الناس بصورة منظمة معقولة . ونشاط المكتبة لا يقف عند المحلة او الحي او البلدة القائمة فيها ، بل يتعداها الى ابعد ، الى المجتمعات الريفية التي كثيرا ما كانت ، الى عهد قريب محجوبة القسمة . فنصيبه الحظ من هذا القبيل . فقد تملك مدرسة القرية مكتبة صغيرة لطلبته . تتمنع عن اعارة كتبها للكبار

والمراهقين ، ومثل هذه المكتبات محدودة النطاق علـــى الغالب ، لا يبعث عقل متفتح ظامىء للمعرفة ، ان ياتي على مذخوراتها في برهة قصيرة . في عدد من البلدان المتطورة يشرف على المكتبات العامة هيئات تحرص جيدا على توفير اسباب الاستفادة منها للجمهور . وقد بذلت بعض البلدان من هذا القبيل جهودا طيبة ستاتي بالقريب العاجل باحسن المحصول واطيب النتائج . فقد انشئت في مراكز الاقضية مكتبات اقليمية تختار منها مكتبات نقالة حاجتها من الكتب يختار منها المطالعون من سكان الارياف مـا يطيب لهم من كتب المطالعة ، وينتقون منهـا مـا يجتذب منهم الافكـار والانظار ، ويحرك فيهم الخيال . ففي كل ناحية تقـــوم خزانة او مخزن للكتاب هي عبارة عن مكتبة : محليـــة او مدرسية او بلدية ، يتولى امرها ويشرف على سيرها موظف فني مسؤول هو ، عادة ، المعلم او الاستاذ . فيعمل مرشدا للطلاب ، هاديا لهم ياخذ بايديهم الغضة الى حياض العلم والفن والثقافة ، ويبعث فيهم الرغبة الى القراءة والمطالعة .

على مدير المكتبة المركزية ان يتولى بنفسه اعداد المكتبيين اعدادا فنيا مسلكيا بحيث يؤدون على الوجه الاكمل المهمة الموكولة اليهم . فالمطالعة في الارياف عملية مركبة تقوم على اساس من التعاون الوثيق بين امين الدار والمعلم والطالب والكتـــــاب .

هذا مثال حي من امثلة [illegible] عمره [illegible] امكن [illegible] المطالعة [illegible] النهوض بـهـا ، كان تاثير هذا التنظيم عظيما على الاهليين فليس اهم من تنظيم المطالعة في العالم اجمع . فالقراءة والمطالعة ليست من الكماليات في هذه الحياة . فهي ليست مجرد طريقة لاملاء الفراغ لدى سكان الريف واشغالـه (وهذا وحده يؤلف نتيجة عظيمة بحد ذاته) . فهي ضرورة حتمية اذ ان الكتاب ، وبالتالي المطالعة ، هما السبيل الوحيد لنشر الحضارة في العالم . كل حضارة قامت في التاريخ ، قامت على الحرف ، على الكلمة ، علـى الكتـاب وعلى من يتدبر هذا الكتاب بالروية والفكر والنظر . من الثابت الذى لا يواجهه النطل ان حق المرء في القراءة والمطالعة هو مـن حقوق الانسان الاساسية هذه الحقوق التي لا يمكن نقضها او نسخها او التغاضي عنها . فلكـل الناس حق مطلق في الاستمتاع بالكتاب بكل حرية . فاذا ما توفر لهم هـــذا الحق ونعموا بهذا الحظ ، كان الكتاب عاملا اساسيا فـي تغيير الناس وجعلهم ورثة او نقلة لهذه الاختبارات البشرية وايصالها مصقولة ، مزيدة ، مجلوة ، للاجيال الطالعة .

مكتبـة الاطفـال

تدوق الكتاب واكتساب عادة المطالعة ملكة يسهل على الطفل اقتباسها وهو بعد في مطلع الحياة . فعلى كل مكتبة عامة ان تنشىء زاوية للاطفال الذين لا يتوفر لمعظمهم وسائل اقتناء الكتب ، اذ يتعذر على ذويهم وسائل توفيرها لهم على الشكل الذي يرغبون . ففي المكتبة وحـدها يجدون الكتب القيمة التي تهمهم او يحفلون بها فتحول بذلك بينهم وبين القراءات التافلة او الخطرة . ان مكتبة المدرسة ، مهما كان نفعها والخير الذي تؤمنه كبيرا ، لا تفي علـى الاجمال بحاجة الطلاب لقلة مواردها ولضعف مجموعاتها . فالرفوف العامرة بالكتب الطيبة الخيرة ، تؤلف للولـــد الاريب النبيه ، اذا ما تم له الوصول اليهـا والاستمتاع بمجاميعها ، روضة غناء وجنة نعيم ودار هناء يستمتـع الولد بساعات المطالعة الطويلة الممتعة ، مساء في منزلـه الوالدي او في حديقة البيت خلال ايام الصيف الطويلة ، فيقبل على القراءة وقد عطشت نفسه الى المعرفة ، فيلتهم الكتب التهاما . قد ياتي للمكتبة ليدرس او ليهيء فروضه والواجبات المعروضة عليه ، وذلك لما توفره له من كتـب المراجع العامة ، هذه المراجع التي يجب ان يحسن استعمالها والرجوع اليها تحت اشراف امين الدار وتوجيهاتـــه وارشاداته . وكثيرا ما يجد في المكتبة منتدى ادبيا يستمتع فيه بما يتلى عليه من اقاصيص وحكايات او بمـا يقـراه بالاشتراك مع غيره من الرفاق او بما يحضره من مناقشة [illegible] الموضوعات عندما [illegible] ساعده .

وهذه الزاوية ، زاوية الاطفال ، يجب الا تشغل حيـزا كبيرا من المكتبة . ولعل اهم من هذا هو ان يتعرف امين [illegible] روادها شخصيا ، من الولد المكبوت الذي يؤثر [illegible] الى الولد المتردد [illegible] الذي [illegible] توجيهه وارشاده وتسديد خطاه . فعلى هذه [illegible] زاوية الاطفال — ان تكون محلاة بالرسوم، مزوقة بالالوان المغرية الجذابة ، بحيث يقوم في ذهن الولد للكتاب صورة زاهية ، زاهرة ، ضاحكة ، جذابة .

من الطبيعي ان يكون التعاون على اتمه بين المكتبـــة والمعلمين العاملين في المدارس القريبة منها وبين الاهليـن وارباب التلاميذ . وعندما يتولى الاستاذ تدريس تلاميذه موضوع ما يجمل به ان ينظم مع ادارة المكتبة معرضـا توضيحيا للموضوع المطروح على بساط البحث . وعليـه ان يقترح شراء كتب واضافتها الى مجاميع المكتبة لخيـر الجميع . والامهات اللواتي يرافقن صغارهن الى المكتبـة قد يحملن معهن في طريق العودة الى المنزل ، عدوى المطالعة ومكروب حب القراءة .

ومختصر مفيد ، على مكتبة الاطفال ان لا تقيد نفسهـا بحدود ضيقة وضمن حيز يضيق عن حيوية الولد ونشاطه . فهي تفضي ، في نهاية الشوط ، الـى مكتبة البالغين او الكبار . فليس اطرى على قلب اميـن المكتبة ، والذ عنده من ان يرى زبائن زاوية الاطفال في مكتبته ، يصبحون قراء بالغين ومن زبائن المكتبة العامة . وليس ببعيد اليوم الذي يطلق الولد فيه كتب الصغار بعد ان تنضج عقله وتهيـا تفكيره ، ويسعى كقارىء بالغ في طلب كتب البالغين والكبار ،

ولذا يجب دفعه دفعا نحو المكتبة العامة وتوجيهه وجهة الكتب التي يرغب فيها ويحلو له مطالعتها . في وسع امين مكتبة للاطفال ان يصبح موقطا لا مثيل له للافكار .

اميــن المكتبــة

لامين المكتبة من الوجهة الاجتماعية شان عظيم واثـر بعيد . فهو المؤتمن على الثقافة الانسانية والوسيط الامثل بين مذخور الفكر الانساني الذي تراكم في مكتباتنا على مر الاجيال ، وبين اجيال الناس الاحياء العاملين . فالكتب المذخورة في خزائننا بلغت حدا من الوفرة كما بلغ نشاط الانسان وسرعته على التاليف والطباعة والنشر حدا يتعذر معه بل يستحيل على اي كان ان يتعرف الى عصارة الدماغ البشري ممثلا بمذخور الكتب جملة وتفصيلا او ان يدرك ، اقله ، ما يتوجب عليه معرفته منه . فالخبير عرضة لان يفني حياته كلها بلا طائل في اتيان اعمال اتاها غيره من قبل بزمان ، فهو يشبه من هذا القبيل زارعا القى في الارض بذارا خصبا حتى اذا ما طلع وشال الزرع خنقه . فان لم يجر توجيه الانسان التوجيه الفني اللازم تعرض للموت غصا او اختناقا ، بما تم له من وفرة اسباب الثقافة العامة

فبوسع امين المكتبة لا بل من المحتم عليه ان يحول دون هذا المصير المشؤوم ويصون الانسان من الغصص والاختناق . ويتم له ذلك عن طريق قائمة ببليوغرافية منتقاة او عن طريق فهرس دقيق يتخذ منهما هو وغيره من الناس هديا له ولهم في شعاب الفكر المتنوعة [illegible] التي يتعذر النفاذ منها .

فالانتاج السنوي ، مهما تعاظم وتضخم باستطاعة المكتبات العامة استيعابه ، وبالنظر لهذا العدد من الكتب الآخذة بالنمو والتي تدخل المكتبة باستمرار يتحتم عليها ان تجري في الكتب تنسيقا يسهل تناولها الى درجـة الكمال . وقضية التنسيق هذه وتنفيذها على اصول وعلم وفن امر يترتب على المكتبات الكبرى تحقيقه ، ومسؤولية الاضطلاع به تقع على امناء المكتبات الذين يترتب عليهم ان يقيموا المسالك في غابة المعرفة وان ينصبوا على مداخلها وجنباتها المعالم والا تعذر النفاذ منها واليها ، ان لم تقـل امتنع واستحال . كذلك من المسؤوليات المترتبة على امناء المكتبات الكبرى الحفاظ على عصارة الفكر الانساني ممثلا بمخزون الكتب المرصوفة في عيون الرفوف .

والدور الذي يمثله حافظ مكتبة عامة ، مهما بلغ من صغر شانها لا يقل اهمية مما ذكرنا . ففي حضارة جماهيرية كحضارتنا هذه ، كل تقدم ادبي او تطور تكني يجري تسجيله ، لا يؤبه له ولا يؤخذ بعين الاعتبار ما لم يبلغ اثره جميع طبقات الشعب . فالمكتبي الذي يقوم بدوره على الوجه الاكمل ، يعرف ان يؤمن هذا الانتشار والامتداد . الم يشبهوه بحق بالراشح او الراووق الذي يؤمن التعادل المنسوب بين سيل الكتب المنهمر والجماهير العطشى الى المعرفة ؟ وهذا المكتبي الذي يقوم بهذا الدور يفترض فيه ان يجيد مهنته ويحسن اصولها كما يفترض فيه ان يكون ذا ثقافة عامة معرقة ، واسعة الاطراف .

وهو بحاجة الى مثل هذه الثقافة الواسعة الاطراف ، ليستطيع بنجاح تكوين مكتبته وانمائها بعلم واصول . لا اجهل قط انه عندما يتسلم مهام وظيفته ويباشر الاضطلاع بمسؤولياته يكون تحت تصرفه نواة من الكتب من المهم له ان يحسن من جهة الافادة من الاعتمادات المالية المخصصة له سنويا فيضيف الى رصيد المكتبة خير الكتب التـي قذفت بها المطابع حديثا . كما عليه ان يستكمل من جهة ثانية نواقص وشواغر المجموعات التي لديه ، مستعينا على ذلك بخبرته وبالطلبات التي تترى عليه من قبل رواد المكتبة

فالمكتبي ، في المكتبة هو المرشد والدليل الـى مرابض العلم ومكامنه . فهو الذي يتولى توجيه القراء والمطالعين الى المرابع الخضراء ، ويلقنهم كيف يستعملون الفهـارس [illegible] وما فيها من وفرة [illegible] . ان وظيفة امين دار الكتب ، يقتضي لها الى جانب التخصص والمؤهلات المسلكية ، التحلي بصفات خلقية لا بد منها ولا ندحة عنها للنجاح في مهمتـه منهـا التعلق الصادق بهذه الخدمة تعلقا لا حد له ، والانقطاع لها بكل جوارحه ، وارادة خيرة لا تفتر ولا تمل ورغبة شديدة في بذل المساعدة والعون لمن اقبل علـى النفس يستكمل فضائلها بالعلم والعرفان .

اليونسكـو والمكتبـات

في [illegible] الذي تضطلع به منظمة اليونسكو [illegible] للمكتبات محلاً ملحوظا من عنايتها ورعايتها ، اذ مـا [illegible] الامية والقضاء عليها اذا لم يستطع من اكتحلت عيونهم حديثا بنور المعرفة ، ان يستمتعوا بنعمة المطالعة ؟ فالخدمة المثلى التي تؤمنها اليونسكو هي اشاعة السلام بين الناس عن طريق اشاعة الثقافة الدولية بينهم .

فهل من عجب بعد هذا ، ان تكون المكتبة العامة ، المسؤول الاكبر لتحقيق هذا الغرض ؟ ولذا راحت اليونسكو ولا تزال ، تسهم بتطوير المكتبات عـن طريق اعداد حلقات دورية تدعو اليها المكتبيين ، من مناطق مختلفـة عديدة ، وتحسين المبادلات الثقافية وتوفير اسباب العمل وظروفه المؤاتية ، وانتداب الخبراء بعلم المكتبات ، واعطاء منـح تخصص ، ولا سيما بانشاء مكتبات نموذجية تكون عوامل حية متفاعلة في خدمة المجتمع .

ليس ابلغ عظة من المثل واوقع منه في النفس ، فقـد حققت اليونسكو عمليا وحيزت بالفعل ما نصحت الدول والمدن باعتماده في هذا المجال ، وذلك بانشائها مكتبـات نموذجية تكون معيارا ينسج على منوالها ومختبرات تطبيقية لما رسمت من خطوط وما اسدت به من نصح وارشاد . واولى هذه المكتبات النموذجية تفتحها اليونسكو مثـالا يحتذى ، مكتبة دلهي العامة في الهند ، سنة ١٩٥٠ بعـد ان تعاون على اقامتها حكومة الهند واليونسكو ، هـذه

المكتبة التي دشنها الرئيس نهرو عام ١٩٥١ . وكان الفرص الاكبر من اقامتها تزويد المتعلمين الجدد بكتب المطالعة التي يحتاجون اليها ، فتؤمن لروادها ولزبائنها من المطالعين ، حاجتهم من الكتب بلغات الهند الرئيسية : الهندية والاوردية والبنجابية والانجليزية .

وقد سر انشاء مكتبة سيارة (بوك موبيل) تزويد ١٥ محلة محسبه قريبه من المدينة او الريف ، بما تحتاج اليه من كتب المطالعة . فادى ذلك الى ازدياد عدد الكتب في المخازن اذ تجاوز عددها ١٦٥٠٠٠ مجلد ، كما تجاوز عدد الكتب المعارة للقراء ٧٠٠ الف كتاب . ويتضح من الاحصاءات الخاصة بزوار المكتبة وروادها بالنسبة الى اعمارهم ، ان الاحداث بينهم يؤلفون القسم الاكبر . فالكبار يقراون قليلا ، هذا ان قراوا — وهل من غرابة في الامر ؟ — بالنظر للتعليم الذي انتشر بين هذه الطبقة من ابناء الشعب .

بين القراء المسجلة اسماؤهم في المكتبة عدد كبير لم يكن الواحد منهم يملك كتابا او لم يكن في مكنته ان يشتري كتابا ، وتشاء العاده المرعية في تلك البلاد ان تقصر المراه زيارتها للمكتبة او ارتيادها لها ما امكن . ولذا كان عدد كبير من مستعيري الكتب يحملونها للاستعمال في الاسرة ، فتقرا امام اعضاء العائلة وعلى مسمع [illegible] فباستثناء الكتب الخيالية من قصص وروايات . [illegible] المفضلة لدى القراء ، هي كتب الترا[illegible] مشاهير الرجال والنساء ، وتلك [illegible] والصناعات وتاريخ الهند .

وهكذا جاءت التجربة النموذجية في دلهي دليلا قاطعا على اهتمام الناس بالمطالعة والقراءة ، واشباعا فيهم لنهم الكتاب وارواء للغليل . ففي الهند حاجات كاسحات من جميع الصنوف والالوان ، لا حد لها ولا حصر . ولعل حاجتها الى تعليم القراءة تبزها جميعا . وعند اعداد كتب القراءة والمطالعة بلغات الهند الرئيسية ، يجب في الدرجة الاولى مراعاة حاجات القراء الجدد . واسفر تحقيق قام به المكتبيون في دلهي حول اذواق المطالعين واهوائهم وموضوع عنايتهم الخاصة ، عن فوائد ومعلومات هامة حول هذا الموضوع بالذات .

كذلك قامت اليونسكو في هذا المجال ، بتاسيس مكتبة نموذجية ، في مدينة مدلين ، هذه المدينة الجامعية الجميلة في جمهورية كولومبيا الواقعة في الشمال الغربي من اميركا اللاتينية . وقد دشنت المكتبة الجديدة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٤ وتضم اليوم نحو من ٥٠،٠٠٠ مجلد . وتؤمن المكتبة المركزية الخدمات التي تتطلبها فروعها المختلفة والمكتبات النقالة ، فتسد بذلك رغبات ١٠٠٠ مطالع في اليوم الواحد .

وقد جاءت التجربة النموذجية الجديدة دليلا قاطعا على فعالية المكتبة باعتبارها قوة حية في خدمة الطبقات الشعبية . ففي مدلين ، كما في دلهي ، يؤلف الاحداث القسم الاوفى من رواد الكتب والسواد الاعظم من القراء والمطالعين ، يضطرمون شوقا للمطالعة ويجيشون رغبة في الافادة من الخدمات التي توفرها الوسيلة الجديده التي طلعت عليهم . فنسبة الاعارة للاحداث ، هي نفسها تقريبا للبالغين ، و « زاوية الاطفال » فيها تنبض دوما بالحياة اكثر من اي قسم اخر من اقسام المكتبة المذكورة . والمكتبة السيارة تؤمن الخدمات اللازمة ، ليس للقرى والجماعات الريفية فحسب ، بل ايضا للمعامل والمصانع اما المكتبة المركزية فقد اصبحت اليوم بؤرة للنشاط الثقافي في المدينة، وذلك بفضل برنامج غني متنوع من الاعمال والنشاطات الثقافية

وبذلت اليونسكو جهدا اخر من هذا النوع في بلدة اينوغو في نيجيريا الشرقية فجاء نجاح هذه التجربة الجديدة يؤيد الى حد بعيد النجاح الذي صادفته التجربتان النموذجيتان السابقتان . وقد جرى الاحتفال بتدشين المكتبة الجديدة من نحو سنة . فهي تضم الان نحوا من ٢٠،٠٠٠ مجلد وتؤمن الخدمات الخاصة بـ ٦٠٠٠ مطالع . وفي المكتبة المذكورة برنامج منوع من النشاطات التربوية والثقافية ، يردف ، الى حد بعيد ، عمل غرفة المطالعة الرئيسية كما ان المكتبة السيارة تؤمن خدمات النواحي [illegible] التدابير اللازمة لشحن صناديق الكتب [illegible] للاعاره ، الى اماكن نائية ، فترسل بالقطار [illegible] سيارات الشحن او بالقوارب النهرية المستعملة [illegible] كذلك تتاح لسكان المناطق الريفية النائية [illegible] المكتبة الجديدة . وهكذا نرى ان الاهداف التي تصمها اليونسكو نصب عينيها من هذه الناحية ، تتفق تماما والاهداف التي تترسمها المكتبات العامة فيكمل الواحد منهما عمل الاخر ويتمه . وهكذا يعمل كل من جانبه ، في تنمية المعلومات بين الافراد ، ويفتح رحابا جديدة في التربية الشعبية ، ويساعد في نشر وبث روح المساواة والاخاء عن طريق تيسير اسباب المطالعة للجميع ، وتامين صيانة التراث البشري المتوارث جيلا بعد جيل ووقايته واخيرا توفير الفرص وافساح المجال امام شعوب الارض طرا ليتعاونوا بعضا مع بعض لنشر تراثهم الادبي ومخلفاتهم الفكرية ويفيدوا منها ما امكن . وهذه المثل المشتركة هي الكفيل لطلوع عهد جديد من التعاون بين اليونسكو من جهة والمكتبات العامة ، من جهة اخرى ، تكون اوثق عرى واشد اتصالا من قبل .

مستقبل المكتبات العامة

تحتل المكتبات العامة اليوم مركزا بارزا في المجتمعات الحضرية العصرية القائمة ، وهو مركز يجب ان يزداد شانا ويتضاعف اثرا في السنوات الطالعة لاعتبارات واسباب عديدة.

يزداد عدد المتعلمين في العالم سنة فسنة ، وهي زيادة يقدر لها ان تسير باطراد والجهود المبذولة لمكافحة الامية واستئصال شأفتها في جميع انحاء العالم . فالامي لا يلبث ان يرى نفسه على هامش المجتمع والحياة . والتعليم لم

بعد وقفا على طبقة ممتازة . فلقد اصبح الزاميا للجميع. الامر الذي سيزيد بالتالي من جمهرة القراء والمطالعين . وفى سبيل هذه الجماهير العطشى الى القراءة ، تنزل الى الاسواق : كتب الجيب والطبعات الشعبية الرخيصة والكلاسيكيات الشعبية ، وكلها مجموعات تلقى الاقبال والترحيب الحار اينما ظهرت وحلت . ففي مثل هذا الاقبال على هذه الطبعات دليل ظاهر لحاجة الناس الماسة اليها . ويجب ان نلاحظ هنا بشيء من الغبطة والرضى ان مدير هذه الكتب آخذ بالتحسن . فالقراء الجدد يسعون بلهفة ، وراء كتب لها قيمتها الاخلاقية والتربوية والادبية. غير ان السواد الاعظم من الناس لا يستطيعون شراء هذه الطبعات الرخيصة. فخير الطرق التي تقربها من الجماهير وامثل الوسائل التي تمكن من جعلها فى متناولهم هي المكتبة العامة ، هذه المكتبة التي يجب ان تقوم فى كل قرية ، جنبا الى جنب المدرسة التي يتم فيها العمل وتكمل الرسالة .

والرقي الاقتصادي والتطور التكني الذي حققه الانسان من شانه ان يزيد النفس علوقا بالعلم وان يدفعها اليه دفعا وذلك لامرين بارزين . الاول لانه يتيح للناس توسيع مداركهم ودفعها الى ما وراء همامهم اليومية . فالبائس المعدم الذي لا يؤمن غده الطالع والذي ليس له ما يقيه عوارض البرد وقضيض العاصفة المزمجرة ، لا يمكن ان تحسس رغبة العلم ويشتهيه او ان يسعى فى طلبه . فكلما حسنت وجوه الحياة عند الانسان وسلسلت [illegible] اكثر فاكثر . [illegible] كرامته [illegible] من معارفه ومعلوماته . اما الامر الثاني يقوم فى [illegible] صارت اليه حياة العصر من تعقيد وتشابك بعد طلوع عهد الالة والتقنية ، فيرى العامل نفسه معهما ان لا مندوحة له عن العلم لاتمام العمل الموكول اليه القيام به وفقا للمواصفات المطلوبة ، فيروح يحرث بتؤدة عقله وينمي محصوله من العلم والتقنية ليصبح فنيا او عاملا تكنيا . ولهذا نرى العمال يتوافدون ، زرافات ووحدانا ، على تاجر الكتب وبائعها وعلى دار الكتب ، بعد ان برح بهم العطش الى المعرفة والعلم . والزراعة التي اصبحت هي الاخرى ، فى يومنا هذا ، علما باصول ، تفرض على المزارع اختصاصا لا يتاتى له الا بالكتاب . وهكذا نرى ان ضرورة التعلم تولد الحاجة للكتاب .

شعوب كثيرة هي اليوم فى طريقها الى الاستقلال الناجز والسيادة التامة اي انها تنعم او فى سبيل ان تنعم بحكم ذاتها بذاتها . وهذا المصير حق شرعي لها اذا كان مقرونا ، ليس فقط بمعرفة كافية لماضيها وتقاليدها واعرافها وشخصيتها العرقية والتاريخية ، مدركة لما لها من طاقات وكفاءات منتجة وبالتالي بامكان تحقيق مستقبلها الاقتصادي بل ايضا تدرك الروابط التي تشدها للبلدان الاخرى ولما لها من تاريخ ولما تحتل من مركز فى العالم ولما تتصف به من اخلاق تطبع شخصيتها المفردة ، وعلى الاجمال بكل ما يبيح لها اقامة علاقات منطقية عادلة . كل بلد جديد ياخذ باسباب الاستقلال والسيادة يجب ان يشعر بذاتيته وشخصيته . والحال نرى فى ظروف كثيرة ان هؤلاء المواطنين الجدد الذين عاشوا للان دون رابط يشدهم بعضا الى بعض ، وكانوا فى اكثر الاحايين مسيرين بنظم سياسية مختلفة ، لا يمكن ان يتم لهم مثل هذا الشعور بالذات شعورا صحيحا عميقا يبعثه فى النفس معرفة الماضي وتحليل الوضع الحاضر ، فمن اين يتم لهؤلاء مثل هذا كله ؟ بالطبع من خلال الكتب التي تحدثهم حديث تقاليدهم واعرافهم الماضية . فالمكتبة والحالة هذه ليست اداة نافعة للامة والوطن فحسب ، بل هي تساعد على تكوين هذه الامة وبوتقتها وطنيا .

تثير فينا الحضارة حاجات ومطالب جديدة . فالمرء لم يعد ليرضى بان يكون دمية او حجرا او بندقا تحركه على رقعة الشطرنج البشرية ، قوى يجهلها فتتجاوزه . فهو يسعى بكل ما استطاع من سبيل لان يكتسب ويتعلم ويزيد من معارفه . فقد كان باستطاعة فيلسوف او شاعر قديما ان يقول « انني انسان وليس ما يتعلق بصميم الانسان [illegible] » [illegible] فمقدور اى رجل ان يسى هذا القول ويردده فى ذاته ، لانه يدرك جيدا ان مصيره مرتبط الى حد بعيد بمصير الاقوام البعيدة والشعوب المجهولة ، كما ان شعوره ازداد رهافة ويعلم العلم الاكيد ان ظلامة [illegible] من اطراف الدنيا تمس من قريب هو ايضا. [illegible] القضايا التي تشغل بال الانسانية وتهزها ، [illegible] مصدرا ومرجعا للبحث عنها ولادراكها بعد هذا، ان ازدياد الطاقة فى العالم وبروز الالية التلقائية لتر فاكثر فى المصانع الحديثة ، من شانها ان تجعل مدنيتنا هذه ، شئنا ام ابينا ، مدنية تتوفر فيها بازدياد اوقات الفراغ . ففي وضع من هذا النوع تنقص فيه ساعات العمل ويخف العناء عن الانسان هو وضع يدعو للرضى عنه وتهنئة النفس به . الا ان الافراط من الراحة والاسترسال فى اوقات الفراغ ، يخفي فى مكامنه الخطر ان لم يرافقه شحذ فى الذوق . صحيح ان الالعاب الرياضية ، والمشاهد السينمائية ، والاستمتاع بالمناظر الطبيعية ، والتلفزيون ستسد جانبا من هذا الفراغ الذي ينعم به الانسان. ومدى هذا الترويح عن النفس مربوط الى حد بعيد بمدى مناهج هذه المسليات ، وهي مناهج لا يمكن لرجل يحترم نفسه ويعرف ، ان يرضى معها بدور سلبي هو دور المتفرج ، فالمكتبة وحدها من شانها ان تجعل من الفراغ ومن الزمن مشهدا مسليا لا نهاية له يكون الانسان نفسه واضعه والمشرف على اعداده .

فى مقدور كل امرىء يحسن القراءة ، كما يؤكد الدوس هكسلي ، ان يتعاظم وان يضاعف ما لديه من وسائل النشاط ، وان يضفي على حياته الملية بالعمل المزيد من

(التتمة فى صفحة ٤٢)

الربيع الاثم

عاد الربيع ولكن لا احس بـه … كما يحس بـه غيري من البشر
مست يداه شفاه الطير فانطلقت … بالشدو تستقبل الدنيا وبالسمر
تزف بكر اغانيها وتمنحها … للماء ، للنور ، للانسام ، للزهر
لهاة كل هتوف في الربيع اذا … شدت على دوحها اصفى من الوتر
تبارك الله لو ذات الجناح وعت … سحر الاغاريد غنتنا على حذر
ينم رجع الصدى عن ساجع لبق … كما ينم الشذى عن زهره العطر
ان كانت البوم في الاجواء طائرة … فذي البلابل في الاقفاص لم تطر
ابي افدي عروس الروض صادحة … في وكرها بذوات الناب والظفر

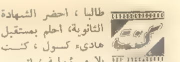
* * *

عاد الربيع وعادت اثر مقدمه … مواكب الطير من شتى ومن زمر
فالروض في حلل يبدو كغانية … تبرجت لحبيب آب من سفر
شتى افانين من حلي واردية … موشية تخلب الالباب بالنظر
حتى الربى وهي جرداء قد اتشحت … من نسج اذار ثوب السندس العطر
في كل مطرح عشب وسافية … يجب بالشدو عصفورا على شجر
كانما الارض في ابان حلوتها … [illegible] نفسها كف مقتدر
حتى الر[illegible] بادمعها … مد [illegible] في السحر
[illegible] للطبيعة [illegible] … [illegible] من الحور
[illegible] اذار [illegible] … [illegible] طري
احالها [illegible] … [illegible] واحمر
قلب [illegible] … [illegible] في ورى

* * *

عاد الربيع ومالي لا اهيم بـه … كما يهيم بـه غيري من البشر
اكل هذا وقلبي لا يحس بـه … هل قد قلبي – يا رباه – من حجر
مالي احس دبيب الموت في جسدي … ووخزة الالم القتال في بصري
مالي احس الشتاء الجهم في خلدي … اذا غفوت وصبح الثلج منتظري
اني التفت ارى دنياي حالكة … كانها صورة من ابشع الصور
ليل امامي ، وخلفي من حنادسه … اشباح جن ترود الدرب في اثري
ان كان هذا ربيعي وهو من مللي … اقسى من الثلج والانواء والمطر
فليحفر الضجر الممقوت في كبدي … قبرا اواري به الموؤد من وطري
ربيع مثلي هوى في القلب متقد … وصبوة اشرقت في النفس كالقمر
اذا خبت نارها او صد موقدها … عاد الربيع شبيه القفر في نظري
سيان في نظر المهجور بادية … او روضة حفلت بالري والثمر
ان الربيع ربيع المرء عاطفة … مشبوبة وشباب جد مستعر

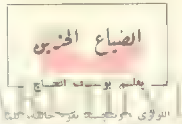
بغداد … عبد القادر الناصري



طالبا ، احضر الشهادة الثانوية، احلم بمستقبل هادىء كسول ، كنت بلا مسؤولية ، اتمسح بحريتي ، كنت احلم بشباب وردي يتفتح ، بعيش ضبابي لا ظل للارهاق فيه .. كنت كطفل يلهو بزورقه الورقي على ضفاف الحياة .. وافلت الزورق في غفلة منه ، فلم يسعه الا ان يتامله في دهشة وفتور حقيقيين .. منذ عشر سنوات طردني شبحها من المدرسة الى الابد ، وقادني عبر امتحان ناجح ليمنحني قرارا اصبحت بموجبه معلما . اصبح لي مرتب . استطعت منذ ذلك الحين ان اكسب حياتي ، واعربت عن عالمي ، وذقت طعم الحياة دفعة واحدة .. الفراغ . المرض . الانطواء . تضافرت الوانها البلهاء واخذت تنفث سمومها في الفضاء الذي لم أكن اراه في يوم من الايام الا صافيا كالصبح . ككل شيء جميل . ولكن كل هذه الاشياء تتحول الى غيمات ضبابية ، ورعشات وجدانية خصبة حينما تطل عينان من البعيد وتتطلعان في شبه ابتهال (من اجلي بني من اجلها تنازلت عن مسيرتي المرسومة .. تخليت بدون اختيار عن جزء كبيرمن كرامتي . (من اجلي. قالها بصوت حنون فيه بعض التصنع والتهمتنا عيون الاطفال عبر براءة السنين ، الحاضر . المستقبل ورهان دائم .. الحاضر . المستقبل .. انتظار لا ينتهي .

في اغلب الليالي . اغمضت عيني بعومة على صورتها . مدفعا اياها بالو ن دافئة ، كالموسيقى الالهية ، كالحب .. كثيرا ما احتلطت حروف الكتب وضاعت الاسطر شيئا فشيئا ليرتسم بهدوء وجهها الجميل . بابتسامته المميزة وصفائه ابكر .. ذلك الوجه الذي ما انتهيت من مطالعته حتى الان ، لانه سفر الابدية المفتوح دائما لابناء الضياع والتشرد ليطالعوا فيه ضياعهم وماضيهم الحزين .. ابدا سيظل القطار يستدعيني .. ستظل اجراس المحطة تقرع لحنها الوداعي الرتيب .. بينما المصلوب على الارصفة القطرانية السوداء .. المسمر ابدا بمسامير الوهم يجمع الاطياف المكسرة .. يحصد الهشيم .. يزرع الدرب من جديد اغنيات تتيمة .. وبستقط .. واللفافة تلفظ انفاسها في ملتقى اصبعيه ، وتتصاعد الابخرة من صفحات الكتاب وتتكاثف سطورا من جديد ، وتحل مكان الوجه معان وحركات . جملا وافكارا .

في وحدتي الموحشة تخيلتها وقد كادت تصل الى حدود قريتي البعيدة .. وقد انهكها السفر . ضفائر مسترخية في كل على صدرها ، حصلة صغيرة ترتعش على جبينها



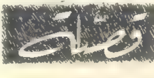
الضياع الحزين

بقلم يوسف الحاج

اللؤلؤي . ... كلما استفزتها في وحدتي .. واغمضتهما كنت امينى في الداخل .. كنت اسمعها تكلمني عن الاشياء التي احببناها معا .. ويساورني شعور رهيب الا اكون في حلم ! لكن شمس الظهيرة المرهقة ، كانت تعيدني الى الواقع .. الى السام . فاخرج من احدى جيوبي رسائلها .. كلماتها القليلة .. صليب العزاء الكبير .. واغرق في جو مدينتي الوادعة اتحسس اطيافها المسائية .. وتنساب الى عنوه جرس دير بعيد .. بعيد .

وتمر الامسيات لا لون لها لا اسماء .. يعنل بعص المل مذياع محلي توجه الغبار باكليل نسجته العاصفة وحملته اليه كما تحمل الثلوج الى صنين .. الى مروج بلادي الوادعة . كانت بعض هذه الاغبرة تتغلغل حتى اعماقي فتغلفها وتحجب عنها المتع البسيطة ، وتتراكم على مر الزمن لتصبح سورا بيني وبين العالم ، او جدارا لقبر كبير .. واقبع في زاوية غرفتي متلاشيا كسحائب الدخان .. وكل ما حولي لطبيعة صامتة رهيبة .. بعد كنت حديث التجربة بالاغتراب .. يصعب علي ان اتلاءم بسرعة مع الاشياء التي تفرض نفسها علي بقساوة . لهذا السبب كنت اتمرد كالشيطان .. لكن هذا الرفض كان يعذبني .. كنت اشعر بالتمزق حينما اكون وحيدا .. وحينما اجلس مع الاخرين . كانت لديهم اشياء يتكلمون عنها ، اما انا فليس لي شيء .. ليس لي نفس .. ليس لي حياة .. فمن اي شيء يريدني ان اتكلم . فالواني محترقة وينابيعي قد غاضت ، ولم يبق فيها غير الحصى والرمال . ... انسللت من غرفتي المرعبة ، وانتعلت الدرب الوحيد الذي يصل قريتي بالنهر .. كان هناك خيط رفيع بين حافة النهر وغرفتي ، يهتز بقوة في ساعات الخطر ، يشدني بعنف نحو احضان الطبيعة الشاحبة المتعبة المتلاشية كبقايا نفسي . لولا خروجي من غرفتي فماذا يحدث .. انني اكذب عندما اقول لن يحدث شيء مطلقا . لقد كانت نفسي تحاورني لاقرر .. كان يصعب علي جدا ان اقرر .. فهنا كاشياء تمنعني من ان اقرر بصورة منفردة . ثمة انسان له الحق ان يقرر معي .. ان يدعمني الى القرار . ذلك الانسان الذي قال (من اجلي) . ومن اجله يجب ان اعيش ، ان اقاوم ، ان اتحدى .. وارتمي عند الضفة وانصت الى النهر في صلاته الابدية ، اشاركه الصلاة لارتاح ..

لكن الاوراق الخريفية المسجاة على اكف المياه كانت تذكرني ابدا بزورقي الذي تاه وحمل معه نفسي وكل ما



املك .. واستمر في صلاتي الطويلة .. وتنتهي حينما تكسر الفجر اخر نجمة متحديه زرعها البرق مسربه اللامتناهية .. واسمع من المعبد تهويمات محمومه صاخبة همجيه .. تلطم مسامعي .. انسان اخر متعب .. انسان جديد يولد .. فترتعش وامد يدي في الفراغ لاختنق الصدى .. لاغتاله .. لاتخلص من سخريته ومن عبثه ولكن ..

وارجع مع الخيوط الاولى لفجر جديد .. ليوم يولد مع خطوات الفلاحين الذين احبوا في الاستيقاظ المبكر) كما احبوني لانني اعلم اولادهم ولانني كنت غريبا عن طينتهم الطيبة

وعلى الدرب ، درب عودتي يتصارع التفاؤل الصباحي مع السأم الاصيل الابله .. وكنت اراقب بجديه هذا الصراع كناقد له علاقة في الموضوع .. وليس له علاقة .. وامسح بلا مبالاة الندى المتكاثف على قصصي الطويله الممرده غير المهذبه .. واتلهى بمعرفة السند الازلي لمعرفه اسامي الطغمة الكوكبيه .. حمور جديده حمراء واخرى جرداء بلقع . لا اعلم بالضبط ايهما احببت .. لان النشيد كان يتهادى من كل جهة وليس من جهة معينة .. واصل الى غرفتي الرمادية التي تغني لي اغنية الصمت ، كانها عالم كامل زاخر بالتجربة .

.. وارتمي على سريري يهدني الاعياء ، والخيط الرفيع قد بلغ غاية التوتر .. يتمدد ويسترخي ، حينئذ كنت استغرق في غيبوبة طويلة ، اعيش في دنيا لا واعية يتفاعل في اجوائها البخور بالموسيقى ، بالعبادة ، بالايمان الطفولي الصافي ، بالحب الصوفي والاناشيد الوثنية .. فتنعم روحي بالراحة والسلام لانها لم تستطع رفض هذه الاشياء بل عشقتها واطاعتها لانها لم تعذبها . فالرفض وليد العذاب وهو نتائج لا اسباب .

* * *

الساعة الثامنة تقرع دقاتها الرتيبة معلنة بدء القيام بالواجب بهذا الوجه الثاني للعيش . وتدفعني مرغما الى العمل ، الى التنكر لطبيعتي اللامجدية .. تقرع من جديد وتقرع .. وينتهي الما م الدراسي الاول ، والثاني ، وتتعرى الغرفة الرمادية رغم عريها ، تتمرد على الصمت لتغني نشيد الوداع الاخير وتعزف بصحب سمفونية الفراغ المرعب باناملها النزقة . بينما تتكدس معالمها في جوف حقائب السفر التي تعجل الرحيل ..

على رصيف المحطه وقفت اتأمل الوجوه الغريبة . وجوه اعرفها جيدا لانني واحد منها ، من المجموعة التي يتأملها انسان في الطرف الاخر من الرصيف . غرباء . وتبتلعني الكلمه ابقاسية فاتلاشى للحظات من الوجود المحدود واشعر بالخيط الرفيع وقد تحول الى انشوطة حول عنقي المبلل بالعرق .. اما طرفه الاخر فشد الى نافذة [illegible] من اشرحه [illegible]

[illegible]

مائله في عمق ، وذلك الرجل الغريب الذي ما انفك يتطلع الى راس حذائه طيلة ستة عشر ساعة ، وكان الوجوه التي لا يعرفها لا تسليه ابدا ، لم تزل صورته بخطوطها المنكسرة مائلة في مخيلتي ، قبعته مائلة الى امام ، لم ينهض طلبا للماء ، لم ياكل شيئا البته ، كان يدخن ، كان ياكل ذاته بشراهة وعمق . كان ضائعا مثلي الان

كان ذلك في تشرين الاول ، في خريف منصرم ، ونحن الان في نهاية حزيران بدء صيف مرهق . تلاشت المسافات ببطء .. والقطار يتسلق بصعوبة نهاية دربه المالوف ويقترب من غاية شوطه كلما تراكمت الساعات المقتولة تحت عجلاته التي لا ترحم ، لم يبق سوى محطه واحده . ساعه تريد ان تقتل ، ساعة واحدة هي ساعة الوصول !! لفائف اخرى تريد ان تزرع في صدري السعال اللعين .

واخيرا توقف القطار ، لدى رصيف اخر عتيق لم يقترب ، وترفعت على اخر لفافة فيها دخنتها ريثما تنتهي بعض الاجراءات الروتينية .

وفي طريقي الى البيت ، كنت احس باحساس حزين . لم يستقبلني احد في المحطة رغم اني كنت باشد الحاجة الى معونة انسان ، وكنت قد خلعت ورائي حينما رحلت مخلوقة جميله يجب ان تستقبلني لتغمرني بحنان لقائها .. ولكن !!.

ها هو البيت الحبيب ، ابوابه مغلقة وقرميده يئن من وطأة الحر .

وقفت العربة فنزلت مع حقائبي وقرعت الباب ورحت اعد نفسي لاعظم لقاء بعد اغتراب طويل ؛ واستبطأت الجواب فقرعت ثانية في الوقت الذي انشق فيه الباب عن وجه امي وقد هدمه السنون والوحشة ، عانقتني بحرارة وذرفت دموع الفرح الرصين .

ذهبت الى غرفتي لاتحسس وجودها . كان السرير مرتبا والمكتبة وادعة هادئة . والستائر زرقاء جديدة وطاولتي وتمثال بيتهوفن النصفي ، عند استمثال لمحت بطاقه كبيرة ومغلفا صغيرا . فتحت البطاقة ماذا هي دعوة لحضور زفاف تاريخه مطلع حزيران ، بدء الصيف المرهق . واحسست بالخيط الرفيع ، بالانشوطه تضيق وتضيق وكان طرفها الاخر معلقا في اعلى السقف ، حركة واحده وينتهي كل شيء ..

اما الرسالة الصغيره فلم افضها حتى اليوم .. لانني لم اطالع فيها حروفا طبيعية ، لن احد في داخلها سوى صفحة صغيرة سوداء لا تعني شيئا ..

كنت امي تقرا في وجهي الانفعالات المخنوقة ، ورغم كل شيء ابتسمت لها ومضيت الى غرفة اخرى .

حمص — يوسف الحاج

الشخص الثاني

* * *

ماذا لو كان عـلى دربي
شخص ثـان ..
مـاذا لو كـان
وبهتت على المقعد جنبي
وتعرت الاف الالوان
قافلة من سحب حيرى
مـرت ..
تتعثر في نيسان
شخص ثـان ؟!
مـاذا لـو كـان
عيشي اللحظه يـا حبي
خلـي الاحـزان
سيمر علينـا غدا ..
او بعـد غـد ..
دنيـا النسيان
ويضيـع هوانـا في الدنيـا
كصـدى الالحـان

ولمـا نبكي ؟
ماذا تجدينـا ادمعنـا
مـاذا تجـدي ..
غـير النيـران
تتـراقص ..
تمـلأنا احـزان
مـا دامت تجمعنـا الدنيـا
لنعش في الفرحـة ..
بعض ثـوان
ولننس امتداد الازمـا ن
فغدا .. لو مر علينـا غـد
سنصيـر ضبابـا ..
بعـض دخـان
مـا دمت بقربـك يـا حبي ..
ساعيش لعينيـك ..
لـلان .

لا تبكـي امـامي ..
لا تبكـي ..

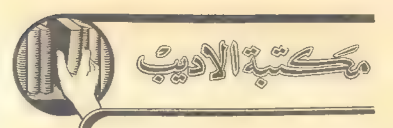
يـا حبي .. يـا اغلى انسان
فالمحبة تجرح لي قلبي
والدمـع [illegible] الاشجـان
تدني مني
و [illegible] ..
[illegible]
و [illegible] اوهـام [illegible]
[illegible] ..
[illegible] .. [illegible] لـلان

لا تبكي ابـدا ..
لا تبكـي
[illegible] الاحزان
[illegible] مـا [illegible]
[illegible] الازمـان
[illegible] نحرقهـا
[illegible] .. شخص [illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible] ..
ام [illegible]

لنعش للحظـة يـا حبي
لنزح عن عينـا الاحزان
مـاذا لو كان على دربي
شخص ثـان ..
مـاذا لو كـان
مـا دمت انـا بيـن يديك
مسجونا .. بهـواه السجـان
لنعش للحظة يـا حبي
لنعش لـلان
مـا دامت تجمعنا الدنيـا
لنزح عـن جفنينـا ..
الاحـزان

دمشق

عصمت حمارنه



القديسة العاريه

مجموعة اقاصيص — لعبد الله الشيتي — تقديم نظير زيتون عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة — ١٩٢ صفحة سلسلة كتاب الشعلة — مطابع ابن زيدون بدمشق (مع العلم بانه لم يذكر اسم المطبعة على الكتاب)

عندما زارني الصديق الاستاذ عبد الله الشيتي حاملا الي كتابه القيم ، رجعت بي الذاكرة عشر سنوات الى الوراء ، يوم كان عبدالله قارئا في مدينة ادلب ، يبعث الي كل اسبوع برسالته لانشر له في مجلة « الدنيا » محاولات في بعضها ومضات تبشر بالخير وفي معظمها محاولات اخرى لا تصلح الا للطي والذكرى. وقفز عبدالله بعدها قفزات سريعة فاذا باثاره تحتل الصفحات الرئيسية في « الفتيا » وفي كثير من الصحف والمجلات السورية واللبنانية . ثم اذا بالصحف تتسابق الى نشر نتاجه الادبي الغزير .ذلكم هو الكاتب الذي عرفته برعما فتيا ، وشممت شذى عطره قبل ان يتفتح ، ثم صادقته اديبا له مكانته واحترامه بين الادباء الشباب.

قرأت « القديسة العارية » وطيف صاحبها يطل من خلالها في شتى مراحل فتوته وشبابه . وكنت قد عزمت على ان اغض عن اخطائها واكتب فيها كلمة تشجيع ، اكثر ما هي حق صريح ونقد جريء . ولكني عندما فرغت منها وجدت فيها روحا قصصيا يفوق اساليب سبايانا الاخرين ، الذين يثيرون الضجيج حول آثارهم ويصطنعون حملات الدعاية لكل قصة او راي او مقال . وعندها فقط قررت ان اكون ناقدا للقديسة العارية اكثر من مقرظ ومشجع ، لان صاحبها كاتب لا يضيره النقد بل يفيده ، ولا يغض من مكانته بل يضاعفها :

تضم هذه المجموعة ثماني قصص هي : ابواب الله ، مجنونه الكهامي، الاب جبرائيل ، درس لا ينسى ، ورقة في شجره ، القديسه العاريه، حب في جهنم ، جسر النجاة . واول ما يلفت القارىء ان معظمها تنتهي نهايات حزينة ، ويموت ابطالها ، ويكاد يجول الدمع في عيني القارىء حزنا واسفا عليهم !.. واما الثامنة « درس لا ينسى » فتنتهي بخيانة زوجية فيها كل التشفي والثأر من الزوج العجوز المتهدم !

واحب هنا ان اسأل الصديق الاديب عن سبب هذا الطابع الحزين الذي اسبغه على قصصه . كنت اوثر ان ينظر الى الحياة نظرة مرحة فيها تفاؤل وفيها امل ورضى ولكنه لامر ما فعل العكس .

اما اقاصيص المجموعة فهي بجملتها موفقة الى حد بعيد ، واسلوبها قصصي تصويري ، واحيانا تحليلي ، وهو واقعي مبدع في واقعيته . وواقعية هذه الاقاصيص ترفعها في نظري الى مصاف القصص الجيد . فاذا ما بالغ المؤلف وابتعد عن الواقع وحلق في عالم الخيال، اسف وانحدر. لناخذ مثالا على ذلك قصة « درس لا ينسى » . هذه القصة من الادب الواقعي التصويري ، ولكن المؤلف يجافي الواقع في عقدتها ويقفز عنه ، وذلك حين يعتقد ان طريقة « سلمى » بطلة القصة في الوشاية بخطيبها السابق « وصفي » وتحريض زوجها العجوز عليه بالطريقة التي سردها المؤلف كافية لضرب موعد غرامي لها مع وصفي واحضاره طائعا او غير طائع .. ليقضي معها ساعتين من اللذه .هذه «الحيلة» لم اقتنع بصوابها انا ، ولم يقتنع بها الواقع . ولعل المؤلف وحده الذي قنع . وفي قصة « القديسة العارية » نفسها ، على روعتها ، خيال اكثر مما فيها من الواقع . قد تقول يا اخي عبد الله ان القصة نفسها خيال ، وانا اقول انها خيال ولكنه معقول ، لا يجافي المنطق ولا يتحداه . ولكمت دنت القصة من الواقع كانت اعمق اثرا في النفس، واكثر روعة واخلد على الدهر .

ومثال ثالث واخير على مجافاة المؤلف للواقع قصة « مجنونة لكنها امي» في هذه القصة تقف المجنونة امام المحكمة ، لتدافع عن نفسها ، بعد ان ارتكبت جريمة قتل لانسان «ابيد الهاون» لانه سخر منها ونعتها بالمجنونة. فهل من المعقول ان يحاكم القضاء امرأة يعرف الناس ، كل الناس ، انها مجنونة ؟.. ثم يطالب الادعاء باعدامها . ولكنها تدافع عن نفسها ... وبعد كلمات قلائل تلفظ المحكمة القرار ببراءتها !.. فهل هذا معقول ايضا؟ انها هنات تجافي الواقع ولكنها لا تنتقص من روعة القصة وجمالها .

وفي اقاصيص هذه المجموعة يحلق الكاتب ويحلق حتى يبلغ حد الفلسفة والتامل في الحياة والوجود ، كما هو الحال في « ورقة في شجرة » . انها تاملات فلسفية ونقاش لمعنى الوجود في اطار قصصي جذاب .

بقي ان اقول ان لغة المؤلف متينة موفقة ، ولكن اسلوبه لم يخل من هنات لغويه احب ان اذكر بعضها على سبيل المثال ، وانا واثق من انها ناتجة عن السرعه وعدم الحرص على تنقيح ما كتب وغربلته من الشوائب. في الصفحة ٢١ وردت هذه الجملة : «.. واجزلت له العطاء من (الردح) والشتائم» وكلمة (الردح) عاميه مصرية لا وجود لها في اللغة . وفي صفحة ٤٨ «[illegible] طاعني او تعصاني». وهو بالطبع يقصد«تعصينني» وفي صفحه ٥٥ [illegible] «[illegible] ارتجيها الكلام ... » والصواب ارجوها . في صفحة ٦٧ « وكانت تغذي حبي لها بسماتها ونظراتها «المهموسة» . وانا لم اقتنع بصواب هذا التعبير ، رغم محاولة المؤلف جعل النظره تنطق بهمس !.. وفي صفحه ١٠٤ « يجلس بعيدا لوحده » . واللام لا يمكن ان تدخل على « وحده » الا في اغنية عبد الوهاب « طال انتظاري لوحدي !.. » وما شابهها من الاغاني !

وبعد هل تراني قسوت على المؤلف الذي احببته فتى ويافعا وشابا ، وسأظل احبه حتى النهاية ؟ قد يكون في ذلك شيء من الصواب . ولكن ان فعلت حقا فلاني احبه بصدق ، واومن بان مواهبه الادبية لا يفجرها الا النقد الصريح ، ولان هذا النقد لا يغض من مكانة اقاصيصه ، فهي رائعة جملة وتفصيلا . وقد بحثت عن العيب ونقبت عنه ، كيلا يقال اني كلت له المديح كما فعل الاستاذ نظير زيتون في تقديمه لهذه الاقاصيص وكما فعل الاستاذ وجيه بيضون في « كلمة الناشر » .

وبعد فانا اتمنى ان يتحفنا الاستاذ الشيتي دائما باقاصيصه ، ولكني ارجو ان يضاعف الرقابة على قصصه قبل ان ينشرها .

٢ — صفحة ذكرى

ديوان شعر — لعدنان مردم بك — ١٨٠ صفحة — حجم كبير — منشورات دار المعارف بمصر — مطابع دار المعارف بمصر

بين ايدينا اليوم الديوان الثاني للشاعر الاستاذ عدنان مردم بك .وكان ديوانه الاول قد صدر في العام ١٩٥٦ بعنوان « نجوى » عن دار المعارف بالقاهرة ايضا، ولقي كثيرا من الاستحسان، وكثيرا من الترحيب والاعجاب.
عندما حمل الي الاستاذ عدنان مردم بك ديوانه الجديد رحبت به كثيرا

وفرحت بهديته الثمينة لسببين: الاول لانشاعرنا الشاب هو ابناستاذنا وشاعرنا الفحل الفقيد خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربيالسابق واخ الشاعر الراحل المرحوم هيثم بك. فهو شاعر وابن شاعر واخشاعر، رحم الله الفقيدين وامد في عمر عدنان . واما السبب الثاني الذي فرحت من اجله بالديوان ورحبت به ، فلانه صدر في فترة ذاع فيها « شعر » شبيه بالماء القراح : لا لون له ، ولا طعم ولا رائحة!.. واصحاب هذا « الشعر »تراهم مع ذلك منتفخة اوداجهم ، يحسبون انهم باتوا شعراء، وهم بعيدون كل البعد عن الشعر السليم الصحيح . لقد ذاعت العامية في شعرنا ، وتفشى ما يسمونه بالشعر الحر ، الذي لا معنى لمعظمه ولا وزن ولا قافية . وبات الشاعر الذي يستحق هذا اللقب اندر من الكبريت الاحمر في ايام الحرب !.. من اجل هذا وذاك رحبت بديوان الصديق الاستاذ عدنان مردم بك وتوقعت له ، كما توقعت لديوانه الاول ، رواجا ونجاحا كبيرين .

نعود بعد هذه المقدمة الى الديوان لنجده مقسما الى خمسة ابواب : الوطن ، الطبيعة ، تاملات ، صور فنية ، المراثي . وقد صدّر الاستاذ عدنان ديوانه بهذا الاهداء الجميل : « الى روح الرجل الكامل الفقيد خليل مردم بك مؤدبي .. ووالدي ، واعقب الاهداء باربعة ابيات رائعة هي تحية بردى :

بردى يزغرد في مساربه   من نشوة وكأنه غرد
في كل مرحلة يمر بها   لحن له ووساوس ترد
فشاره [illegible] عازفه   ما كر دهر او اهل غد
[illegible] الماضي [illegible]   فيهب [illegible] ويحتشد

وكانت فاتحة الديوان بعد ذلك القصيدة الرائعة « ابي » وفيهايصور شاعرنا الملهم عاطفته الصادقة نحو ابيه العظيم ويناجيه [illegible] وحب واخلاص . ولست اسلم بان وزارة التربية والتعليم احتسبت صنعاحي

اختارت هذه القصيدة مع قصيدتي «دمشق» و «بردى» واقرتتدريسها في برامجها التعليمية ، لان الاولى تصور عاطفة الابن المشبوبة نحو ابيه، وما اجدرنا باذكاء هذه العاطفة لدى الجيل الصاعد . والثانية والثالثة فيهما وصف مجنح لنهر دمشق ولعاصمة الامويين . وكذلك احسن المجلس الاعلىلرعاية الاداب والفنون حين اختار قصيدتي «جبل قاسيون» و «الجدار المتصدع» بين المختارات التي تم انتقاؤها كاحسن ما قيل في الشعر المعاصر .

وفي باب الوطنيات نجد الشاعر مشبوب العاطفة ، واقعي الوصف ، مبين العافية ، فهو تصورلنا «بردى» في اجمل حلة ، ويتغزل ب «دمشق» تغزل عاشق متيم ، ويتعبد في «جبل قاسيون» تعبد ناسك وهب نفسه لله . وفي «سور دمشق » وصف اخاذ وتصوير بارع لهذا السورالتاريخي القديم ، فهو يقول :

طالت [illegible] وحلقت [illegible]   كالنسر حلق باختيال حالما
فكأنها انفت مجاورة الثرى   فسمت بابصار تجوب معالما
ورفعت مختالة [illegible]   تبغي لها بين السحائب عالما
وامتد ركنك كالمنارة عاليا   يختال من صلف ويومي باسما
وعليه من غير الحوادث مئزر   ضافي المهابة يستثير عزائما
ثوب عليه من الزمان جلاله   وغدا من الايام اشمط قاتما
نجته ايدي الحادثات وطرزت   بالفتح اذيالا له وعمائما
وتزيده الايام في احداثها   شانا وتكسبه علا ومكارما

وفي الطبيعة وصف رائع للقر والثلج والسيل والربيع . واكثر ما [illegible] ابداع الشاعر في الوصف قصيدته في «وصف المغيب في غابة بولونيا » لانها لون جديد لم يصفه شاعر في العربية قبله على ما ارجح . وليس [illegible] ان يحلق عدنان مردم بك ويبدع في الوصف ، فقد كان والده الفقيد العالي امام الشعر التصويري الواقعي في العصر الحاضر دون [illegible] [illegible] الماضي من «الاديب» الاغر كتبت بحثا مستفيضا [illegible]

[illegible] «تاملات» [illegible] اساسها عدد من القصائد، منها قصيدة « تلك الاسباب » التي اضفى عليهشاعرنا الملهم لونافلسفيا بهيا. فقد تامل الشاعر واطال التعمق احلاق الانسان ووصف اطماعهواوطاره. ولعلها خير قصائد هذا الباب .

وفي باب « صور فنية » تطالعنا قصيدة « مصارع الثيران» وهي دون ريب من رائع الشعر ، ولم يسبق لشاعر عربي ان وصف مصارعة الثيران بهذه الدقة وذاك التامل . ان وصفه في هذه القصيدة يذكرني بوصف المرحوم خليل مردم بك بل هو يقف الى جانبه ، فهي تصوير وواقع بلا مبالغة ولا خيال ولا اجنحة . وما اجمل الشاعر حين يصف ويصدق في وصفه وينقل ما تراه العين شعرا بكثير من الامانة والاخلاص .

ويابى شاعرنا الملهم الا ان يختم ديوانه بباب «المراثي» فيرثي الشهيد العربي وشهداء فجر النهضة، وينثني لرثاء اخيه الشاعر الذي فقدناه برعما لم يتفتح . ويختم الديوان بقصيدة « النجم الهاوي » التي قالها في رثاء والده شاعر الشام .

وبعد فشاعرنا الاستاذ عدنان مردم بك قد احسن في اخراج ديوانه في هذا الظرف ، لانه اعاد الطمانينة الى بقاء الشعر الرصين المتين وتفوقه على المتشاعرين وادعياء الشعر . والديوان مبين اللغة ، سليم الاسلوب ، لا غلطة ولا هفوة ، بل اسلوب مشرق وديباجة ناصعة انيقة صافية . واذا كان الانفعال يعوز الشاعر في بعض قصائده فمرد ذلك الى صمته الطويل وهدوء نفسه وبعده عن مجالات الصخب والعنف .

واذا كنت ادعو القارىء العربي الى مطالعة هذا الديوان ، فلانني واثق من اني ادعوه الى مائدة شهية تلذ القلب ، وتروي العاطفة ، وتهز الفؤاد .

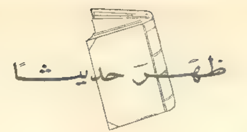
دمشق   عبدالغني العطري

(تتمة المنشور في صفحة ٣٦)

الكرامة والمعنى والمدلول . وهذه [illegible] بالحيوات الاخرى ، هي التي نتمنى [illegible] مثلها للجميع ، ان وسائل الاتصال والسليع [illegible] (كالسينما والتلفزيون والراديو والمسجلات الصوتية) سترتدي ولا شك ، في المستقبل الطالع، لبوسا جديدة، وستتسع حلقاتها الدائرية لتساعد على تذوق سحر الفنون ومفاتنها . ولكن ما من ذريعة من هذه الذرائع ، تذهب عميقا في تاثيرها وتستمر فيه كالقراءة والمطالعة ، وليس في هذه الذرائع كلها ما يوفر للانسان ، مثل هذه التشكيلة من العواطف والمشاعر والاحاسيس والمعلومات التي يوفرها الكتاب .

خطب السر جون هرشل عام ١٨٣٣ ، وهو يدشن مكتبة ايتن العامة فقال : « اذا ما نميا في الانسان الذوق الى المطالعة وامنا له ما يشبع نهمه منها لا نلبث ان نجعل منه رجلا سعيدا هنيئا .. اذ نجعله دوما في كل عطفة من عطفات التاريخ، وجها لوجه معحكماء البشريةوذوي الحجى واشجعهم قلبا واطيبهم نفسا ممن يزينون اليوم مفرق البشرية جمعاء ، وبذلك نجعل منه مواطنا في كل امة ومعاصرا لكل جيل » . وفي مقدورنا ان نقول بحق لكل مجتمع بشري : « قل لي ما الذي تقدمه زادا سائغا يقبل عليه شعبك ما يقراه ويستمرئه ، اقل لك من انت » .

يوسف اسعد داغر



● العلم والبداهة — تاليف ج. برونوفسكي — ترجمة الدكتور احمد عمادالدين ابوالنصر — مراجعة وتقديم الدكتور حسين سعيد — مصمم الغلاف منير اسكندر — ٢٦٠ صفحة — نشر بالاشتراك معمؤسسةفرانكلين القاهرة نيويورك — منشوراتدار النهضة العربية بالقاهرة — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● بحوث ممتعة للعلماء الصغار — تاليف جورج بار — ترجمة الدكتور انور محمود عبدالواحد — مراجعة الدكتور محمد صابر سليم — مصممة الغلاف جانت رستم زكي — ١٣٦ صفحة — مع صور — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات مكتبة نهضة مصر (؟) مطبعة نهضة مصر بالفجالة (؟)

● دعنا نفهم مشكلات الشباب — تاليف هـ . هـ . ريمرز و س . ج. هاكيت — ترجمة الدكتور عطية محمود هنا — اشراف وتقديم الدكتور عبدالعزيز القوصي — الكتاب ٤٥ سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال — ١٢٤ صفحة — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشوراتمكتبة النهضة المصريةبالقاهرة — مطبعة ...

● الطريق الى التفكير المنطقي تاليف ولتر سوير — ترجمة الدكتور عطية محمود هنا — اشراف وتقديم الدكتور عبدالعزيز القوصي — الكتاب ٤٦ سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال — ١٢٠ صفحة — نشر بالاشتراكمع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك— منشورات مكتبةالنهضة المصرية بالقاهرة — مطبعة مصر بالقاهرة .

● عجائب الكيمياء تاليف ايرام م. فريمان — ترجمة عواطفعبدالجليل مراجعة الدكتور محمد صابر سليم — مصمم الغلاف ايهاب شاكر — ١٤٠ صفحة— مع صور — نشر بالاشتراك معمؤسسة فرانكلين القاهرةنيويورك— منشورات دار المعارف بمصر القاهرة — مطابع دار المعارف بمصر .

● ماذا بداخل جسمي — تاليف روبرت زم — ترجمة الدكتور محمد صابر سليم — ٢٤ صفحة — حجم كبير — مع صور — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة — مؤسسة طباعة الالوان المتحده (؟)

● الدعوة الاسلامية الى وحدة اهل السنة والامامية — تاليف الامام ابوالحسن الخنيزي — الجزء الاول — تقديم الشيخ محمد جواد مغنية — ٥١٤ صفحة — حجم كبير — مطبعة الاقبال بيروت — الجزء الثاني — تقديم الشيخ سليمانظاهر — ٤٣٦ صفحة — حجم كبير — المطبعةالتجارية بيروت — طبع الكتاب على نفقة نخبة من اهالي القطيف بالسعودية .

■ المناظرات — يتناول بالبحث بعض المسائل الخلافية بين المذاهب الاسلامية — تاليف الامام ابوالحسن الخنيزي — تقديم الشيخ محمدامين زين‌الدين — ٢٨٨ صفحة — حجم صغير — الناشر محمد سعيد الخنيزي — مطبعة النعمان بالنجف العراق .

● تحت راية القرآن — تاليف الشيخ عبدالجبار الاعظمي ن تقديم ابراهيم حلمي الشواء من اسرة دار الثقافة الاسلامية — ٨٠ صفحة — حجم صغير — منشورات دار الثقافة الاسلامية ببغداد — مطبعة دار منشورات البصري ببغداد .

● صفحة ذكرى — مجموعة شعرية — عدنان مردم بك — ١٨٠ صفحة— حجم كبير — منشورات دار المعارف بمصر — مطابع دار المعارف بمصر.

● طوبى للودعاء — مجموعة قصص — تاليف فيليب عبد الحق —الغلاف والخطوط بريشة اسكندر لوقا — تقديم اسكندر لوقا — ٩٦ صفحة — حجم صغير — (لم يذكر اسم المطبعة)

● انشودة الطريق — مجموعة شعرية — كمال نشات — الغلاف تصميم مصطفى حسين — ١٤٤ صفحة — منشورات دار ممفيس للطباعةبالقاهرة— مطابع ممفيس بالقاهره

● الانتصار على الشدائد — الجزء الاول — جمع ج. دونالد آدامز — ترجمة ابراهيم زكي خورشيد — تقديم الدكتور محمد عوض محمد — مصمم الغلاف اميل كامل — ٣٠٤ صفحة — حجم كبير — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة — مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (؟)

● تاريخ العلم والانسية الجديدة — تاليف جورج سارتون — ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر — الغلاف تصميم منير اسكندر — ٣٠٤ صفحة — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات دار النهضه العربية (؟) — مطابع مصر بالقاهره

● المنازل — تاليف كاترين كارتر — ترجمة السيد حامد زغلول—الكتاب ٢ سلسلة الف باء — ٤٨ صفحة — مصورة — حجم كبير — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك— منشورات دار النهضه العربيه(؟) مطبعة مصر (؟)

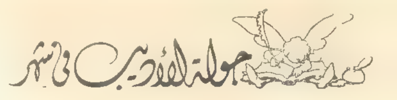
● ... — مختارات من الشعر العربي — لسليمان العيسى — مصمم الغلاف شريف الراس — ٢٥٦ صفحة — حجم كبير — منشورات مكتبة الشرق بحلب — مطبعه الشرق بحلب .

● كتاب يوبيل البيان الذهبي ١٩١٠ — ١٩٦٠ وكتاب المشاعل — القسم الاول : ما قيل في حفلة اليوبيل الذهبي لجريدة البيان التي اقيمت في مدينة بروكلن نيويورك في ١٥ مايو ١٩٦٠ — القسم الثاني : تحايا اصدقاء «البيان» — القسم الثالث : المشاعل — وهو فصول من كتاب قيد الاعداد لصاحب جريدة البيان : راجي ظاهر — صفحات هذا القسم ٦٠ صفحة— حجم كبير — ورق مصقول فاخر — طباعة انيقة — مطابع جريدة البيان نيويورك .

● المؤرخون وروح الشعر — تاليف ايمري نف — ترجمة الدكتورتوفيق اسكندر — مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال — مصمم الغلاف احمد محمد منيب — ٢٨٤ صفحة — حجم كبير — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشوراتمكتبة الانجلو المصرية (؟) — مطبعة مصر بالقاهره .

● كل شيء عن الصحراء — تاليف سام وبريل اشتين — ترجمة الدكتور مصطفى بدران — ١٣٢ صفحة — نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات دار المعارف بمصر القاهرة — مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

● صناعة تنجيد الاثاث — تاليف هربرت باسب — ترجمة محمد حمدي احمد زكي — مراجعة حسن حسين فهمي — ٢٠٠ صفحة — حجم كبير— نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك — منشورات مكتبة النهضه المصرية بالقاهرة — مطبعة مصر (؟)



حديث مع عيسى الناعوري

●

عقد الاستاذ سليمان موسى هذه الحلقة لمجلة « هنا عمان » مع الاستاذ عيسى الناعوري الذي يعتبر من اخصب الكتاب الاردنيين انتاجا ، والذي يساهم في حمل رسالة القلم منذ اكثر من ٢٢ عاما .

س ــ استاذ ناعوري اود قبل كل شيء ان اصارحك بان البعض قد انتقد عنوان هذه الحلقات (مع اهل الفكر) بحجه انه لا يوجد في الاردن من نستطيع ان نطلق عليهم هذه الصفة . فهل عندك ما تقوله بهذا الشان ؟

ج ــ لا ارى في عنوان هذه الحلقات ما يدعو الى النقد . وماذا يكون الاديب ان لم يكن من (اهل الفكر) ؟ واعتقد ان مجله (هنا عمان) تؤدي رسالة مهمة اذ تحاول ان تعرف بمختلف انواع النشاط والنهضة في الاردن ، ومن بينها نشاط الفكر ونهضة الادب .

س ــ المعروف انك أنتجت في ابواب كثيره من الادب فقد قرانا لك في النقد والقصه القصيره والقصه الطويله والسيره الادبيه كما قرانا لك شعرا .. واذكر ان فدوى طوقان قالت لي ذات مرة انك لو اقتصرت في انتاجك على فن واحد من فنون الادب لكان ذلك ادعى الى ... المعول والنجاح ... فما رايك في هذا ؟

ج ــ لكل انسان رايه ــ اديبا كان كالانسه فدوى او فلانا عاديا ــ وانا حينما اكتب لا اختار الاسلوب الذي اكتب به ، فقد يجيئني الموضوع اقصوصة ، او مقالا او قصيدة ، او بحثا ، فاسير فيه كما يجيء . اما الحكم في نجاح انتاجي او عدم نجاحه فهذا من حق قرائي لا من حقي انا ، فانا راضي عما كتبت حتى الان ، وقد كان في انتاجي الادبي الوان من التخصص ، كتخصصي في الادب المهجري ، وفي دراسات الادب العربي الحديث ، والان في الادب الايطالي ، ولكن هذا لم يمنعني في السابق ولا يمنعني اليوم وغدا من النظم وكتابة القصة .

س ــ لا شك ان الظروف الخاصه تؤثر في حياة كل انسان ، فهلا لك ان تحدثنا عن نشاطك وظروف حياتك الاولى . وعما اذا كنت تعتقد ان تلك النشاة كان لها اي اثر في نهجك الادبي .

ج ــ حياتي الاولى كان فيها كثير من القسوة منذ ان ولدت في منزل كان يشارك الاسرة فيه عدد من البهائم ، الى ان تزوجت . ولم اشعر بسمات الرضا من حياتي الا بعد الزواج ، فقد استقرت حياتي ، واستقر اسلوبي الكتابي ، ونضج انتاجي الادبي نتيجة لهذا الاستقرار ، ونتيجة لتطوري العقلي ووفرة مطالعاتي . كان انتاجي في بدايته يتميز بنزعتي المغرقة في التشاؤم والحزن ، وكنت من طبعي اميل الى كل ما هو محزن ، رواية كان ام شعر ام واقع حياة . ولكن هذه النزعة زالت من انتاجي ومن نفسي تدريجا بعد الزواج . واذا كان الانتاج الادبي مرآة لحياة صاحبه ــ وانا اؤمن بهذا ــ فانتاجي الادبي كذلك كان من قبل ، وهو اليوم ، صورة لحياتي وتفكيري وميولي .

س : يعتقد بعض المتشائمين ان باستطاعتهم ان يصبحوا ادباء كبارا اذا ما اتيح لهم ان ينشروا شيئا من انتاجهم في هذه الصحيفة او تلك المجلة ،وحيث انني اعلم مدى الجهود التي يتوجب على الكاتب ان يبذلها لتثقيف نفسه وتركيز اسلوبه والوصول بانتاجه الى نفوس القراء فاني ارجو ان تحدثنا عن بداية جهادك الادبي او عن خطواتك الاولى في هذا المضمار وعما لقيت من مصاعب وعقبات .

ج : صحيح ان الادب والفن عملية «خلق» ولكن لا يستطيع الانسان ان يخلق من نفسه بعبارة (كن) فيكون .. ولا يكفي ان ينشر ناشيء جهدا ادبيا فيصبح بنشره اديبا كبيرا ، فكثيرا ما يكون العمل المنشور عاملا على فضح جهل صاحبه .. وبمعنى اخر « انتحارا » ، ولا يعني هذا ان النشر قد لا يكون ايضا عاملا على ابراز موهبه مستورة ، وعند ذلك يضع الاديب قدمه على الطريق السوي . قبل ان يعرفني الناس اديبا جاهدت جهادا طويلا مضنيا ، كثيرا ما كدت معه ايأس وابتعد عن طريقي ، لولا ان القلم كان يعود فيجذبني اليه جذبا . لقد قرات كثيرا من الكتب الصفراء القديمة ، ومن المؤلفات الحديثة ، وكتبت في البداية في جرائد ومجلات عديده غير ذات قيمة ادبية ، في مختلف الاقطار العربية ، فكانت كتاباتي تلك تمرينا لقلمي ، ثم انتقلت من تلك الصحف الى ما هو ارفع مستوى ادبيا واكبر قيمة . ومن هنالك بدأت اسير على الطريق الصحيح . ويجب ان اذكر هنا ان صلتي بمجلة (الاديب) منذ عام ١٩٤٦ كانت البدايه التي عرفت فيها نفسي وعرفني فيها القراء . ولست بهذا انكر الصحف العديده الاخرى في مختلف الاقطار العربية ، التي مارست الكتابة فيها طويلا ، فقد كانت كلها من العوامل التي ساعدت على وصول اسمي وانتاجي الادبي الى جميع الاقطار العربية والمهاجر . والادب يرتكز على الثقافه الواسعه والجهد الطويل والتجارب الكثيرة في الحياة ، انه حصيلة للثقافه والممارسه والتجربة معا . والذي يعتمد على الميل والرغبه وحدهما لا يكون اديبا ولو نشر مئة كتاب معا . وكم من الناس الذين ... متعدده ، بعضها صدر عن دور نشر معروفه ، ولكنهم ... ادباء صغار ، لان القيمة لنوع الانتاج ... من ينتجه او الدار التي تصدره . قبل ان ... كثيرا ، وكذلك فعلت وما زلت افعل ، ولم ... ادبي الا بعد معاناه طويله وجهاد شاق .

س : بهذه المناسبه ، اعرف انك كنت بسبيل اعداد دراسة عن الادب الحديث في الاردن ، فهل لك ان تدلي بخلاصة رأيك في صناعة القلم وحمله الاقلام عندنا ؟ وما هي الوسائل التي قد تؤدي ، في نظرك ، الى تشجيع الحركه الفكريه وترويج الكتاب الاردني ؟

ج : الدراسة التي تشير اليها كانت تسير نحو نهايتها لولا ان سفري الى ايطاليا جعلني اتوقف عنها ، وساعود اليها قريبا لاتمها وادفع بها الى الناشر . لقد كتب ولا تزال الزمن بان في هذا البلد الطيب نخبه ممتازه من الكتاب والشعراء ، وكتبت في ذلك مرارا وفي صحف متعددة ، منها الاديب ، والعربي ، والعرفان ، والعلم الجديد ، والمشرق الايطاليه . ولم يمنع قلة الوسائل ــ او انعدامها في الاردن ــ من ان يبرز عدد غير قليل من هؤلاء الادباء بجهاد شاق ، وان يعرفوا في الاردن وفي الخارج ، ووجود عدد من الادباء الاردنيين في اقطار عربيه اخرى لا يمنع من نسبتهم الى بلدهم ولا يجرد بلدهم من الاعتزاز بهم واحتضان انتاجهم الادبي . وليس ادباء الاردن اقل مقدرة ومنزله ووعيا من اخوانهم في الاقطار العربية الاخرى ، ولا سيما في مصر ولبنان ، غير ان ما يحد من اشتهار اغلبهم هو انعدام وسائل النشر والصحافة الادبية في هذا البلد ، ان الادب في حاجه الى الاستقرار والاجواء الهادئة التي تشجعه على البروز والنشاط . والظروف المؤسفة التي مرت على هذا البلد الصغير العزيز ، فلم تسمح له بالاستقرار الكافي والانصراف التام الى البناء والاعمال المثمرة ،كانت عاملا على اعاقة سير النهضة الادبية عندنا ! ومن ذلك مثلا انها لم تقدم للادباء فرصة للتعاون والتكتل في رابطة او نقابة ادبية ، ولم تعط الدولة فرصة للعناية بارباب القلم ووسائل النشاط الفكري . وانا اعتقد ان

الوسائل السريعة الفعالة لاعادة الحياة الى الاقلام واشاعة الجو المناسب للانطلاق الفكري تتلخص في ما يلي : ١ ـ قيام رابطة او نقابة للادباء . ٢ ـ عناية الدولة بهذه الرابطة ، وتخصيصها جوائز مالية لتشجيع النشاط الفكري ، واحتضانها لما ينشر من النتاج الادبي القيم . ٣ ـ قيام شركة للنشر والتوزيع على مدى واسع . ٤ ـ انشاء مجلة ادبية اسبوعية يتعاون حملة الاقلام في الاردن على تحريرها ، وعلى ايصالها الى جميع الاقطار العربية . ٥ ـ قيام الشركات والمولين بتقديم جوائز مالية للاعمال الادبية ، على غرار ما يفعله الكثيرون في البلاد المتمدنة .

س : انت تعمل في الكتابة والتاليف منذ ٢٠ عاما او اكثر ، فهل لك ان تحدثنا عن مؤلفاتك !

ج : بدات اكتب في الصحف منذ ٢٣ عاما ، اما مؤلفاتي الادبية فقد بدات نشرها منذ عام ١٩٥٠ فقط ، وكان اولها كتابا مدرسيا هو «الجديد في الادب العربي » الذي اعيد طبعه مرتين في العام نفسه . ثم ظهر كتابي (ايليا ابو ماضي رسول الشعر الحديث) عام ١٩٥١ عن دار الطباعة والنشر في عمان ، وقد اعيد طبعه مع اضافات كثيرة في دار منشورات عويدات في لبنان عام ١٩٥٨ بعد وفاة ابي ماضي . وفي ما يلي بقية مؤلفاتي : ١ ـ طريق الشوك « مجموعة اقاصيص » عام ١٩٥٥ الناشر مكتبة الاستقلال عمان ، ٢ ـ مارس يحرق معداته « رواية » عام ١٩٥٥ في سلسلة « اقرا » الناشر دار المعارف القاهرة ، ٣ ـ اناشيدي « ديوان شعر » عام ١٩٥٥ الناشر دار مجلة الرائد العربي حماة سوريا ، ٤ ـ خلي السيف يقول « مجموعة اقاصيص » عام ١٩٥٦ الناشر مكتبة الاندلس القدس ، ٥ ـ الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر «دراسة» عام ١٩٥٦ الناشر دار النشر والتوزيع والتعهدات عمان ، ٦ ـ بيت وراء الحدود « قصة طويلة » عام ١٩٥٦ الناشر : منشورات عويدات بيروت ، ٧ ـ ادب المهجر « دراسات » عام ١٩٥٩ الناشر دار المعارف القاهرة ، ٨ ـ اطفال وعجائز « اقاصيص مترجمة عن الايطالية » عام ١٩٦١ الناشر دار المعارف بيروت . اما مؤلفاتي المدرسية المطبوعة فهي ، عدا «الجديد في الادب العربي » : ١ ـ بطولات عربية من فلسطين بالاشتراك مع الشيخ ابراهيم القطان ، ٢ ـ ادبنا في مختلف العصور ٣ اجزاء ، بالاشتراك مع وهيب البيطار ومحمد العمد ، ٣ ـ نجمة الليالي السبعة «قصة للاطفال» ٤ ـ العصفور الاخضر «قصة للاطفال» ، ٥ ـ الاغاريد «محفوظات للاطفال» ولقد القيت عشرات المحاضرات في مواضيع ادبية مختلفة ، واذعت مئات الاحاديث من محطات اذاعية متعددة ، ونشرت عشرات الابحاث الادبية التي ستجمع في كتاب بعنوان « دراسات في الادب العربي الحديث » .

س : كانت مجلة القلم الجديد اول مجلة ادبية راقية تظهر في الاردن ، ولا شك انك بذلت جهودا مشكورة في اصدار هذه المجلة . فهل لك ان تحدثنا عنها وعن الاسباب التي حالت دون استمرار صدورها ؟

ج : كنت دائما اشعر بحاجة الاردن الى مجلة ادبية راقية تبرز نشاط الاقلام الاردنية وتعرف بها في العالم العربي كله والمهاجر . ولذلك اندفعت في اعقاب صيف عام ١٩٥٢ الى تحقيق هذه الفكرة بمجهودي الفردي وحده . وكانت الطريق التي سرت عليها ان اختار الاقلام الاردنية القوية لتقدم من نهضة الادب العربي صورة حسنة ، وان اجمع الى جانبها في كل عدد من اعداد المجلة اقلاما اخرى قوية من جميع الاقطار العربية والمهاجر ، لتظهر الاقلام الاردنية الى جانبها مساوية لها ، وغير مقصرة عنها في مجالات الفكر العربي الحديث . وكنت حريصا على ان تصل المجلة الى كل مكان من دنيا العروبة ومن المهاجر الاميركية والافريقية ، والى جميع اوساط المستشرقين . واعتقد انني نجحت في هذا الى حد بعيد ، بفضل المؤازرة الكريمة التي لقيتها في كل مكان من اخوان ادباء حملوا معي العبء بهمة ونشاط واخلاص ، بعضهم من الاردنيين في مصر والسودان ، كالاساتذة ناصر الدين الاسد وكامل السوافيري ، واحسان عباس ، وبعضهم من الاصدقاء الطيبين في العراق ، والسعودية، والكويت ولبنان ، وسوريا ، وافريقيا السوداء ، والاميركتين ، ومن رجال الاستشراق في اوروبا . على ان الجهد الفردي ، مهما يكن مخلصا

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان والاقليم السوري : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان والاقليم السوري ١٢ ل.ل.
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تلفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ Direc. :223819 Tél.
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ونشيطا ومستعدا للبذل والتضحية ، لا يستطيع ان يستمر طويلا . وقد كان من عوامل التثبيط اولا قانون المطبوعات الذي عدل في الشهر ١١ من حياة المجلة ، وكان يقضي بان يكون المحرر المسؤول جامعيا وانا لست كذلك ، وان يدفع صاحب المجلة تامينا ماليا ، ولم اكن املك المبلغ اللازم لذلك ويقضي كذلك بان يقتصر عمل المحرر المسؤول على الصحيفة وحدها ، ولم يكن هذا ممكنا بالنسبة الي ـ هذا القانون وحده ـ وقد نفذ قبل صدور العدد ١٢ من المجلة ، كان كافيا لهدم ذلك المشروع الناجح . وكان العامل الثاني انني اصدرت ثلاثة اعداد خاصة ضخمة من المجلة : احدها عن الاردن ، والثاني عن ليبيا ، والثالث عن المهجر ، ارهقت ميزانية المجلة ، اذ زادت تكاليف كل منها على مئتي دينار ، ولم الق اية مساعدة تستحق الذكر من الدوائر الرسمية ،اذ كان عدد اشتراكات وزارة التربية والتعليم اقل من عشرين اشتراكا ، واشتراكات وزارة الخارجية عشرة فقط ، ومجموع ثمنها كلها معا ثلاثون دينارا سنويا فقط ، ولم تكن هناك اية مساعدة اخرى على الاطلاق من الجهات الرسمية. وهكذا اضطررت برغمي الى واد المجلة فلم تعش غير عام واحد .

س : اي اثارك الادبية احب اليك وادعى لاعتزازك ؟

ج : كل آثاري الادبية حبيبة الي دون تفريق ، غير ان « ادب المهجر » ادعاها الى الاعتزاز لانني قضيت في تاليفه ١٢ عاما حتى جاء اوفى مرجع

س: هل تاثرت بآثار كاتب معين؟ وما هي الكتب التي تؤثرها على سواها ؟

ج : تاثرت في البداية بكتاب مجلة « الرسالة » المصرية التي كان يصدرها احمد حسن الزيات ، ولا سيما زكي مبارك ومحمد سعيد العريان ، فقد كنت شديد الاعجاب بهما وباسلوبيهما الكتابيين . اما الكتب التي اؤثرها فكثيرة ، وهي تزداد او تتبدل تبعا لتطوري الفكري والمطالعاتي . واذكر منها كتب جبران وابي ماضي من العرب ، ودانتي وسيلفيو بيليكو من الايطاليين .

س : كنت مؤخرا في زيارة لايطاليا ، ولا بد انك اطلعت على التيارات الادبية الايطالية . فما هي الانطباعات التي تركتها تلك الرحلة في نفسك حول وضع الادب العربي الحديث بالنسبة لاداب الامم الراقية ؟

ج : زيارتي لايطاليا ـ وانا مدين بها لمنظمة اليونسكو ولوزارة التربية والتعليم الاردنية معا ـ كانت فرصة ثمينة ، اتيح لي فيها ان اتعرف الى عدد كبير من قادة النهضة الادبية الحاضرة هناك والى كبار المستشرقين. وقد ساعدني على ذلك معرفتي للغة الايطالية ، واطلاعي من قبل على اشياء من الادب الايطالي ، والذي لمسته هناك ان الادب العربي الحديث غير معروف في غير اوساط المستشرقين ، اما الادباء والشعراء الايطاليون فلا يعرفون عنه شيئا ، بل كان الكثيرون منهم يبدون دهشتهم اذ احدثهم عنه وعن كبار رجاله وعن تياراته الحديثة . اما من حيث مستوى الانتاج الادبي الجيد عندنا ، فهو ـ دون شك ـ ليس اقل جودة من الانتاج الادبي الايطالي ، وليس اقل غنى وجودة من اغلب الانتاج الادبي الحالي في الاقطار الغربية . وليس في هذا غرابة ، فنحن والغربيون نستقي الان من مناهل فكرية واحدة . على انهم في القصة والرواية خاصة ارسخ منا قدما واعمق اصالة وفنا .

س : ما هي مشاريعك المقبلة ؟

ج : لدي الان كتابان معدان للنشر من اثر رحلتي الى ايطاليا ، وهما : ١ ـ ادباء ومستشرقون عرفتهم في ايطاليا ، ٢ ـ قصة طويلة بعنوان « ليلة القطار » ، وهناك قصة طويلة اخرى بعنوان « شريط اسود » ومجموعة اقاصيص بعنوان « عائد الى الميدان » ومجموعة شعرية بعنوان « اخي الانسان » ، وكتاب عن « النهضة الادبية في الاردن » ، وهذا الاخير سيتاخر نشره قليلا الى ان انتهي من نشر الكتب الاخرى . وقد اتوقف بعد الان عن التاليف مدة لانصرف الى مطالعة المؤلفات الايطالية العديدة التي عدت بها من ايطاليا ، ليكمل بها اطلاعي على الوان الادب الايطالي واتجاهاته الحديثة .

عمان سليمان موسى

حديث مع الشاعر الفرنسي رينه تافرنيه

يعتبر الشاعر الفرنسي رينه تافرنيه في طليعة الشعراء في فرنسا . فقد نشر حتى الان ثلاثة دواوين عناوينها « منك الاعاجيب » ، «معنى الوحدة» « اشارات » . وهو يعد الان ديوانا جديدا عنوانه « التوامان » . وقد اغتنمنا زيارته لبيروت فطرحنا عليه الاسئلة التالية :

س : ما رايك في الموجة الشعرية الجديدة في فرنسا ؟

ج : ليس في فرنسا اليوم موجة شعرية جديدة بل استمرار لموجة مجددة بدات منذ اخر الحرب الكونية الثانية بل هنالك موجة جديدة في الرواية . فالشعر الفرنسي تتنازعه اليوم تيارات كثيرة . فالشعر الموزون المقفى يعيش متحابا مع الشعر الحر والشعر الانتقالي فاراغون مثلا ما زال حريصا الى حد ما على القوالب الكلاسيكية بينما ايف ده بون فوا يسير بالشعر المنثور على غير هوادة. وهنالك مثلا سان جان برس الذي ينظر الى الشعر نظرة خاصة ، فابياته هي آيات اكثر مما هي شعر مالوف . وهو ينهج فيها نهج كلوديل . ومهما يكن من امر فقضية الشكل الشعري لم تعد واردة بالنسبة الى الشعر في فرنسا . فلكل صيغته الخاصة والقارىء الفرنسي لا يهتم كذلك بالصيغة انما يوجه كل عنايته الى المضمون الشعري .

س : ما هي اهم التيارات الشعرية ؟

ج : هنالك نزعات لا مدارس . وبين هذه النزعات الطاغية نزعة الالتزام الشعري التي يسير فيها اراغون وهنري بيشيت . ونزعة الاستجلاء الداخلي ويتزعمها هنري ميشو ونزعة المغامرة الداخلية مع كل ما يعتورها من مزالق وهي لا تتورع عن التضحية في الشعر في سبيل السمو وراء الكشف عن الباطن . ونزعة الشعر « المعيوش » التي يرسلها بيار ايمانويل . وثمة نزعة اليائسين الذين يسعون الى وصف الاشياء الخارجية ويحاولون تجاوز واقع الحياة . ومن هؤلاء فرنسيس بونج وفولان وغيفيك . وثمة نزعة روحانية تستمر مع بتريس لاتور دي بان ، ونزعة نقدية اجتماعية فيها دعابة ظهر فيها نتاج ريمون كينو وجاك بريفير . فضلا عن السريالية الجمالية التي يوجهها رينيه شار .

اما جان جوف فيعنى الآن بقضايا الله والخلق والتحليل النفساني في جمالية ونزعة تختلط فيها رمزية بون فوا الميتافيزيقية . ويبقى السر بليز ساندرا بليغا في التيارات الحديثة لانه في نظري الرائد الاكبر . ولولاه لما فهم الشعر الحديث فهو اول من ادخل الجاز في موسيقى الشعر المعاصر .

س : والرواية في فرنسا ؟

ج : الرواية الرائجة اليوم ليست الرواية الكلاسيكية التي ترتكز الى تحليل الانسان في وضع معين على طريقة بلزاك ومورياك ، ولا هي الرواية الفلسفية الملتزمة بل هي تلك التي تعالج مشكلات هذا الجيل القلق الساعي وراء جذور في عالم ضاعت مقاييسه وقيمه .

س : ما رايك في الادباء اللبنانيين والعرب الذين يكتبون بالفرنسية ؟

ج : اني معجب بجورج شحادة شاعرا ومسرحيا . واحب روايات فرج الله حايك ولا سيما « وجه قايين » واحترم كثيرا نتاج الروائي المصري « قصيري » وكذلك قصص اندره شديد ، واحب اشعار فؤاد جبران نقاع فهو شاعر كبير . (الجريدة)



يوليو ١٩٦١

١٤ ـ حذرت الهند بريطانيا من ان انضمامها الى السوق الاوروبية المشتركة قد يضعف الروابط بين دول الكومنولث .

١٥ ـ وصل احمد بيللو الى عمان في زيارة رسمية .

ـ عززت فرنسا حاميتها في بنزرت على اثر خطاب بو رقيبة .

ـ توالي فرنسا سحب قواتها من الجزائر لتعزيز القوات الفرنسية في اوروبا تحسبا لمفاجآت ازمة برلين .

ـ احالت اميركا وبريطانيا الى الجمعية العامة النزاع حول عقد معاهدة لحظر التجارب النووية بين الشرق والغرب .

ـ اعلنت الصين الشيوعية وكوريا الشمالية في بلاغ مشترك انه يجب شن نضال حاسم ضد الرجعية الحديثة كما يمثلها زعماء يوغسلافيا

١٧ ـ اعلن بو رقيبة ان الحصار سيضرب على قاعدة بنزرت . كما اعلن ان قوات تونسية سترسل لاحتلال ابعد نقطة في الصحراء الغربية وان تونس ترفض الاعتراف بالحدود الصحراوية التي خططها الفرنسيون .

ـ وصل موسكو الفريق عبود رئيس مجلس القوات السودانية الاعلى في زيارة رسمية .

ـ تسلمت روسيا مذكرات الرد الغربي على مذكرات خروشوف الخاصة بالمانيا وبرلين . الغرب يترك الباب مفتوحا للمفاوضة .

١٨ ـ حكومة الجزائر المؤقتة تتحفظ تجاه مطالب تونس بجزء من الصحراء . وصل وفد الجزائر الى جنيف لاستئناف المفاوضات مع فرنسا .

١٩ ـ بدأ الحصار التونسي على بنزرت . قصفت الطائرات الفرنسية مواقع القوات التونسية رد التونسيون بقصف القاعدة بالمدافع

ـ كنيدي يعلن اتخاذ تدابير عسكرية لمواجهة خطر نشوب حرب في برلين .

٢٠ ـ استؤنفت في قصر لوغران قرب ايفيان مفاوضات الجزائر .

ـ قررت الجامعة العربية قبول الكويت في الجامعة وانسحب وفد العراق من الاجتماع .

ـ تفاقم النزاع المسلح بين التونسيين والفرنسيين في بنزرت . قطعت تونس علاقاتها بفرنسا ودعت مجلس الامن .

٢١ ـ بعد ان قصف الفرنسيون مدينة بنزرت قاموا بهجوم شامل عليها . اعلن بو رقيبة ان فرنسا بدأت هجوما لاحتلال تونس من جديد ، لذلك حولنا القتال الى حرب عصابات وقبول المتطوعين من العالم . وضعت تونس يدها على المؤسسات الفرنسية

ـ اجتمع مجلس الامن لمناقشة الشكوى التونسية .

ـ اعتقلت الحكومة الايرانية عددا كبيرا من زعماء الجبهة الوطنية على اثر مظاهرات قامت بها الجبهة في طهران .

٢٢ ـ دعا مجلس الامن الى وقف اطلاق النار فورا في تونس وعودة جميع القوات المسلحة الى مواقعها قبل نشوب النزاع حول بنزرت .

ـ اوقفت فرنسا جميع العمليات العسكرية في بنزرت وكذلك فعلت تونس .

ـ اعلن عبد الناصر تأييده المطلق لبو رقيبة في المعركة ضد الاستعمار الفرنسي واستعداده لمد تونس بالمساعدة السياسية والعسكرية .

٢٤ ـ فوجئ المراقبون بالهدوء في مراكز تونس ، يخرق الفرنسيون الهدنة بين حين واخر . وصل همرشولد تونس تلبية لطلب بو رقيبة وبدأت المحادثات بينهما .

ـ اجتمع مجلس الجامعة العربية بناء على طلب تونس لبحث العدوان الفرنسي . قررت الجامعة ارسال متطوعين لتونس .

ـ صدر قانون في بغداد باعتبار رأس المال العربي كالعراقي يتمتع بنفس الامتيازات .

ـ حث نكروما الذي يزور موسكو حاليا ، الدول الافريقية على الاتحاد لمجابهة كل اعتداء على اية منها .

٢٥ ـ اعلن بو رقيبة : الحرب تنذر بان تتجدد . اريد طائرات ودبابات ومدافع مضادة ، اما المتطوعون فليكونوا فدائيين مدربين

ـ قال وزير الدفاع الاميركي : حلفاؤنا ثابتون في العزم على القتال من اجل برلين .

ـ الحكومة البريطانية تعلن برنامجا للتقشف كمحاولة للتغلب على الازمة المالية .

٢٦ ـ طلب كنيدي من الكونجرس ثلاثة مليارات و ٢٤٧ مليون دولار اضافية لتعزيز القوات العسكرية وزيادة القوات المسلحة ربع مليون جندي لمواجهة التهديد السوفياتي في العالم

ـ اتخذت الحكومة الفرنسية قرارا ضد قيام همرشولد بزيارة رسمية الى باريس .

ـ على اثر سلسلة قوانين صدرت تتناول الملكية والضرائب والمؤسسات المالية اعلن عبد الناصر ان جميع الاجراءات الثورية من اجل خلق المجتمع الجديد في العربية المتحدة قد اخذت طريقها الى التنفيذ .

٢٧ ـ غادر همرشولد تونس الى نيويورك .

ـ اذاع العراق ان ثلاثة جنود بريطانيين اعتقلوا في منطقة صفوان منذ ٤ ايام كانوا في مهمة تخريبية ضد العراق .

ـ غادر الفريق عبود موسكو عائدا الى الخرطوم

ـ كاسافوبو يدعو البرلمان الكونغوي الى تشكيل حكومة اتحاد وطني ائتلافية تسبق وضع الدستور .

٢٨ ـ اعلنت فرنسا انها لن تتقيد باي قرار يتخذه مجلس الامن بشأن بنزرت .

ـ اعلن الوفد الجزائري في لوغران بانه يرفض الاستمرار في المفاوضات قبل ان تتحقق مطالب الجزائريين بالسيادة على الصحراء الكبرى . واعلن الوفد الفرنسي ان المفاوضات تعطلت للمرة الثانية .

٢٩ ـ فشل مجلس الامن بايجاد حل للقضية بنزرت .

ـ وصل الملك حسين يرافقه رئيس الوزراء التلهوني الى السعودية .

ـ اعلنت البحرية السوفياتية ان لديها عددا من الغواصات الذرية التي تطلق الصواريخ اكثر من الغواصات الاميركية .

ـ انذر خروشوف الغرب بانه اذا نشبت حرب عالمية نتيجة لازمة برلين فان ٢٠٠ مليون شخص يلاقون حتفهم .

٣١ ـ ماكميلان يعلن طلب انضمام بريطانيا للسوق الاوروبية ويقول لا اعتقد بان مساهمة بريطانيا في الكومنولث سيضعف اذا اتحدت دول اوروبا اقتصاديا .

ـ عاد الملك حسين الى عمان بعد محادثاته في الطائف مع الملك سعود في القضايا العربية والاسلامية وصدر بلاغ مشترك بهذا المعنى .

ـ وافق الكونغرس على مشروع كنيدي لتعزيز القوة العسكرية .

ـ فشل مؤتمر جنيف في التوصل الى اتفاق بشأن سحب القوات الاجنبية من لاوس

اغسطس ١٩٦١

١ ـ اشار الجنرال غورسال الى قضية برلين فقال ان تركيا مثل باقي الدول في حالة تأهب وطوارىء تحسبا للاحداث .

ـ وجه خروشوف انذارا الى « محبي المغامرات الحربية » .

٢ – استقبل خروشوف رئيس وزراء ايطاليا امنتوري فانفاني .

– اعلنت الامم المتحدة ان جنود كونغويين اجتاحوا اقليم كاساي وقتلوا اكثر من ٦٠٠ رجل وامرأة وولد في افظع مذبحةعرفها الكونغو

– وافق برلمان الكونغو على تعيين سيريل ادولا رئيسا لحكومة الكونغو الموحدة وانطوان جيزنغا نائبا لرئيس الحكومة .

٣ – صدر بيان في تونس والقاهرة يعلن اتفاق الراي على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

– وجه الغرب تحذيرا الى روسيا من ازدياد الموقف خطرا بسبب الاجراءات التي تتخذها السلطات الشيوعية في برلين .

– وصل تونس من جنيف الوفد الجزائري المفاوض بعد ان توقفت المحادثات مع فرنسا وقد اعلن بلقاسم توحيد النضال الجزائري والتونسي .

– اتفق خروشوف وفانفاني على انه من المناسب اجراء مفاوضات بين الشرق والغرب لحل ازمة برلين الخطرة قبل اللجوء الى اي تصرففردي اوخطاءالاستنتاج يؤديالىالحرب

– تعهد ادولا رئيس وزراء الكونغو بالغاء انفصال اقليم كاتانغا وهاجم تشومبي ورجال الاعمال البلجيكيين . رحبت الامم المتحدة بحكومة الكونغو الجديدة .

– وصل نكروما الى بلغراد فيزيارةرسمية.

٤ – المانيا الغربية تعزز جيوشها بسبب ازمة برلين ستنفق ٥٥٠ مليون دولار على احدث الاعتدة الحربية من اميركا وبريطانيا.

– نشر نص الرد الروسي على مذكرات الغرب بشان برلين . دعت المذكرات السوفيانية الغرب الى التفاوض لعقدمعاهدتي صلح مع المانيا الشرقية والغربية والنظر بوضع برلين . وتضمنت وعيدا بانه اذا لم تتم المفاوضة سيوقع السوفيات معاهدة صلح مع المانيا الشرقية .

٥ – منحت روسيا قرضا لتونس بعشرة ملايين استرليني .ووعد خروشوف بتلبية دعوة بو رقيبة لزيارة تونس .

– عقد وزراء خارجية الغرب اجتماعهم الاول في باريس لدرس قضية برلين .

– نشر في موسكو ميثاق جديد للحزب الشيوعي السوفياتي يستهدف المزيد من الديمقراطية ومنع اي محاولة لـ « عبادة الشخصية » .

٧ – انهى وزراء خارجية الغرب مؤتمرهم في باريس اتفقوا ان ازمة برلين موضوع قابل للتفاوض مع الاستعداد للطوارىء .

٨ – طلبت اميركا من حلفائها الغربيين تعزيز قواتهم العسكرية باسرع وقت لمجابهة التهديد السوفياتي في ازمة برلين .

– وصلت اللجنة العسكرية العربية الى الكويت واجتمعت بكبار الضباط لاعداد الترتيبات لاستقبال القوات العربية التي ستحل محل القوات البريطانية .

– تم جمع تواقيع ٥٠ دولة لدعوة الجمعية العامة للاجتماع لبحث قضية بنزرت .

– تكليف قوة دولية باقرار الامن في اقليم كاساي اعلن الجنرال موبوتو تاييده لجيش الكونغوي الوطني والحكومة المركزية التي يراسها ادولا .

– اعلن خروشوف ان روسيا تستطيع صنع قنبلة لم يصنع اكبر منها وانها ستفعل ذلك اذا لم تتعزز احتمالات السلام .

١٠ – اعلن كنيدي ان خروشوف لميعرض اي اقتراح جديد في خطابه لحل مشكلةبرلين وانه مستعد لعقد مؤتمر اقطاب بشرط ان يسبق ذلك ما يؤكد امكان الوصول الى بعض النجاح .

– اعلن نهرو بان ازمة برلين تنذر بانتؤدي الى جحيم حربعالميةتنزل الدمار في الانسانية

١١ – اعلن بو رقيبة ياسه من ديغول وقال ان تونس اختارت عدم الانحياز سياسة لها ، اما روسيا فلنا مصلحة بالتعاون معهاوتفاهمنا مع العربية المتحدة تم على اساس الاحترام .

– رحب خروشوف ببيان كنيدي الاخير لما تضمنه من دعوة الى تسوية سلمية للمشكلة الالمانية . وقد توعد دول حلف الاطلسي بالصواريخ ومئات ملايين القنابل .

– انهت فرنسا العمل بوقف اطلاق النار الذي اعلنته قبل شهرين عند بدء المفاوضات الفرنسية الجزائرية .

١٢ – وصل حسونة الى الكويت لتوقيع اتفاق لاحلال قوات عربية محل القوات البريطانية . طلب حاكم الكويت رسميا الى القوات البريطانية الانسحاب .

– بدا الغرب يبحث عن موعد لمفاوضة الشرق حول برلين .

– ارسل عبد الناصر رده على رسالة كنيدي التي تلقاها في مايو الماضيحولفلسطين

١٢ – العراق يطلب رسميا الغاء انضمام الكويت للجامعة العربية ويحذر من العواقب.

– منعت حكومة المانيا الشرقية الخروجمنها الى برلين الغربية دون تصريح خاص .وامرت العمال الذين ينتقلون من الشرق الى برلين الغربية وعددهم ٨٠ الف عامل بالبحث عن اعمال جديدة .

١٤ – اغتيل صالح بن يوسف السكرتير العام السابق لحزب الدستور التونسي الجديد الحاكم فياحد فنادق فرانكفورتبالمانيا

– عاد الى نيروبي عاصمة كينيا الزعيم جومو كينياتا بعد نفي استمر ٩ سنوات .

– اقترحت موسكوللقضاءعلى الجمودالمسيطر على مؤتمر حظر التجارب النووية في جنيف دمجها بمحادثات نزع السلاح .

– اعلن دين راسك ان على اميركا انتتوقع حدوث ازمات سياسية وعسكرية اكثر خطورة سوف تهـز العالم .

– قطعت الاتصالات الهاتفية بين القطاعين الشرقي والغربي في برلين . الجانب الشرقي يتحول الى معسكر والدوريات مستمرة

– وصل نكروما الى بكين في زيارة رسمية

– انستاس ميكويان نائب رئيس الوزارة السوفياتية ، وصل اليابان بزيارة رسمية .

١٥ – احتج القادة الغربيونللقائد الروسي فيبرلين علىغلق الحدود وسائر القيودالمفروضة

– دعا ميكويان زعماء العالم الراسمالي الى التنافس على المسرح الاقتصادي السلمي .

– تلقى نهرو رسالة خاصة من خروشوف تضمنت وجهة نظر السوفيات بمشكلة برلين

١٦ – رفض الاتحاد السوفياتي احتجاج الغربيين على اغلاق الحدود قال السوفيات ان لا سيطرة لهم على المانيا الشرقية وطلبوا من الغرب ان يكف عن التدخل في شؤونها .

١٧ – اعلن الدكتور اديناور ان الازمة الحقيقية لبرلين ستتبعفيما بعد نتيجة لمطالبة خروشوف بعقد معاهدة صلح مع الدولتين وتحويل القطاع الغربي الى مدينة حرة. واكد ان المانيا لن توقع معاهدة كهذه .

– اعلنت بريطانيا موافقتها على سحبقواتها من الكويت حال وصول القوات العربية .

– اتم عبد الناصر اعادة تشكيل نظام الحكم السياسي للدولةوقد اصبح للجمهوريةالعربية وزارة واحدة مركزها القاهرة بدلا من٣وزارات

١٨ – اوفد كنيدي نائبه جونسون الى برلين ، غاية الرحلة تهدئة مخاوف الالمان الغربيين . رسالتان من كنيدي الى اديناور وبراندت .

– اعلن الاتحاد السوفياتي ان نشاطا عسكريا مريبا ازداد في الاونة الاخيرة في ايران وتركيا

– اعلن اديناور ان المانيا الغربية ستزيد قواتها العسكرية ضمن نطاق الحلف الاطلسي

١٩ – رفضت موسكو الاحتجاجات الغربية حول برلين واعتبرتها تدخلا في شؤون المانيا الشرقية . طمان جونسون سكان برلين واعلن ان اميركا لن تتراجع عن الدفاع عن الحرية في المانيا الغربية .

– ارسل كنيدي كتيبة محاربة لتعزيز الحامية الاميركية في برلين الغربية كما ان امدادات للحامية البريطانية ستصلاليها غدا.

– اذاعت موسكو ان الغرب ينشىء مناطق موت في ايران وتركيا وباكستان . اعلنت واشنطن ان وثائق موسكو مزورة لتغطية فشل الشيوعيين .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت ٢٤٦٦٨٥